الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر و فى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٤٠ — ٢٠ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة			
٨٥٠	دير سمعيحة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ محمود بك خيرت
٨٥٩	هل مات مسموما	للكاتب الروسى ليوكوز يانوف	بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة
٨٧٠	مشاهدة وجه العروس	للفيلسوف الهند وشاعرها تاجور	بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج
٨٧٣	يوما واحداً فحسب	للكاتب التركى أوجمد أكرم	بقلم الأديب عبداللطيف أحمد
٨٨٠	المنق	مترجمة عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار
٨٨٣	ثم جاء الربيع	للكاتب الانجليزى دوروثى بلاك	بقلم الأستاذ فؤاد الطوخى
٨٨٩	الأغلال	للكاتب الفرنسى بول هرفيو	بقلم الأستاذ فيلكس فارس

دير سميحة

قصة مصرية
بقلم الأستاذ محمد دياب خيري

— دائماً إلى مكتبك ؟

— أحاول أن أضع قصة

— قصة ؟ وما عساك أن تكتب فيها . لعلك وقعت على حياة بعض الناس ، فيها من الحوادث ما حبب إليك تسجيلها

— كلا ، فما أكتب إلا عن نفسي

وعند ذلك لم يتمالك صديقه نفسه من الضحك

— ولِمَ لا ؟ ألم يكتب جان جاك اعترافاته ، وكونبيه روايته « حياة » ، ودوديه « الشيء الصغير » ، ودوماس « ذات الكاميليا » ؟ إن الكتاب كثيراً ما يدونون حياتهم حتى في أدق أسرارها

— ولكن القصص لا يقبل عليها الناس إلا إذا غذاها الكاتب بالحوادث العنيفة ومواقف الحب المتقدة المقدة حتى تلهب المشاعر وتهز النفوس . وأنت يا صديقي لا يتخلل حياتك شيء من ذلك . وكل ما في الأمر أن أبويك خلفا لك هذه الثروة الطائلة التي تعيش عليها ، كما أنك أكثر الناس نفوراً من المرأة حتى إنك لا تفكر في زوجة تسكن نفسك إليها وتطرد بها وحشة العزلة التي أصبحت من بعدها فيها . لم لا تتزوج فيكون لك أولاد يروحون ويغدون أمام عينيك فيملأون دارك حركة وبشراً . إن الأولاد كالنور ، وإنهم لأولى بهذه الثروة من بعدك . على أنني إلى الآن لم أقف على سر كراهيتك للنساء وأنت بحمد الله في أوج الصحة ومقتبل العمر ؟

— ومن قال لك إني أكرههن ؟ ولكني لن أتزوج

— لن ؟

— نعم . ولقد حرصتُ دائماً أن أخفي عنك السبب الذي وقف بي عند هذا العزم . ولكني أذكره لك الآن حتى لا تمود عيناك تعذبانني بنظراتهما المتوسلة وأنت تحاول أن أكشف لك الغطاء عنه

كان أبي رحمه الله من كبار تجار الفاكهة بالاسكندرية ، فعزم مرة على زيارة جبل لبنان للاتفاق مع أحد ملاك البساتين فيه ليرسل إليه بكل ما تخرجه من الثمار . وكان من بين أغنياء الجبل رجل اسمه السيد محمد صلاح الدين شهاب يقيم في دير القمر الذي كان فيما مضى مقر الأمير شهاب المعروف . فكتب أبي له لينتظره

وبينما هو في طريق الجبل إليه داهمه على مقربة من دير القمر بعض قطاع الطرق فلما قاومهم طعنه أحدهم بمديته طعنة وقع على أثرها مغشياً عليه ثم فروا بعد أن سلبوه المال الذي حمله لتنفيذ ذلك الاتفاق

ولما طال انتظار السيد صلاح الدين عزم على ملاقاته بنفسه . ولكنه ما كاد يبتعد عن حدود القرية حتى لمح أبي ماثلاً على الحالة التي ذكرت ، فلم يشك في أنه هو وأسف على أنه لم يفكر في النزول إلى بيروت لمقابلته . على أنه كلف رجاله بحمله إلى داره . وكان الجرح من حسن الحظ غير غفير فالتأم في مدى شهر بفضل عناية الطبيب الذي استقدمه لمعالجته .

ومن ذلك العهد توثقت الصلة بينه وبين هذا

الرجل الكريم إلى أن مات وهو فى شرخ الشباب

— لعلة ؟

— كلا . وإنما أولع بعد انتهاء الحرب الكبرى كغيره باقتناء أوراق البنكنوت الألمانى . وقد استنفدت ثروته كلها وهو يعالل نفسه بالغنى الطائل فى يوم قريب حتى إذا انكشف الأمر وظهر له أن هذه الأوراق لا تساوى شيئاً قضى عليه الهم

— وأهل بيته ؟

— لم يكن له غير زوجه وابنته . وقد وقع نعيه فى نفس أبى أسوأ موقع فبكاه بكاء مراً وأسرع إلى لبنان ليعود بهما إلى مصر ، ولكنه لم يعثر عليهما لا فى دير القمر ولا فيما جاوره

— لعله ذلك الذى كانت صورته هنا إلى جانب صورة المرحوم أبيك ؟

— نعم هو ولكنها تثير داءً فى نفسى تلك الذكرى فأنزلتها . إنها الآن فى ركن فى غرفة نومي بل إننى حرمت على نفسى تناول الفاكهة أيضاً حتى لا أذكرهم جميعاً

— حقاً إنها الذكرى تصلح أساساً لقصة رائعة طريفة . ولكنى لا أجد فيها إلى الآن سبباً يباعد بينك وبين الزواج ... لعل تلك البنت ... ؟

— هى . هى يا صديقى . ومن الغريب أننى لم أرها ولاهى رأتنى ، إذ كانت فى القسم الداخلى بمدرسة عنطورة لاتزور أبويها إلا مرة كل أسبوع ، ولكنها على رواية أبى كانت أجمل فتيات دير القمر بل وقرى الجبل كلها . وقد تعاهد أبى وأبوها على أن تكون لى إحكاماً للصلة بين البيتين .

وعند ذلك ساد السكوت وأخذ كل منهما يسبح فى بحر قاتم من الخيالات . فيلمن الزائر تلك الأوراق التى جرت الحسرة والويل على كثير من الناس . ويلمن أولئك الطماعين القصيرى النظر وإلا كانوا يقتصرون إذا كان لا بد من المضاربة على جزء من أموالهم فلا يحيق بها كلها الخراب . وكان كامل افندى (صديقه) يذكر تلك الفتاة وحسنها الذى كان مضرب المثل فى الجبل حتى خيل اليه أن دير القمر لم يسم بهذا الاسم إلا لأنها كانت زينته

ثم يشعر بالمرارة وهو يتصور ما صادفها وأمها بعد موت عائلهما من غوائل الفقر والجوع والتشريد . وهكذا يحطمه اليأس وتتسابق فى عينه الدموع . ولم تكن هذه المرة هى الأولى التى صدعته فيها تلك الذكرى فانه ما كان يقبل على غرفته ويرى صورة أبيها حتى تتجدد ولذلك اضطر إلى رفعها . ولكنه كان يقول فى نفسه إذا كانت لم تمد بعد من سكان دير القمر فلم لا أقيم أنا لها فى قلبي ديراً آخر تترهب ذكراها فيه إلى أن تحين ساعتى . ولذلك وطن نفسه على عدم الزواج .

وكانت الساعة أخيراً تدق النصف بعد العاشرة ، ولكن أحداً منهما لم يشعر بها وهو فى شاغل من هذه المأساة لولا أن طرق الباب طرقاً عنيفاً فانتبها . وعند ذلك هرول صديقه مستأذناً كما رافقه كامل افندى إلى الباب ليرى من هذا الطارق .

ولما فتحه وجد أمامه أحد رجال البوليس وفتاة فى أسمال بالية مستندة إلى الحائط وبجانبها صرة يظهر أن بها ملابسها . وعند ذلك قال الجندى إنه رآها جالسة عند عتبة الباب تبكى وتقول إنها خادمة حضرتك ، ولكنى شككت لوجودها خارج البيت فى ساعة كهذه فطرقت الباب لأتأكد من صدقها

— نعم إنها خادمتى يا شاويش ... أشكرك

وعند ذلك انصرف صديقه وهو يعتقد أنها خادمة جديدة، وكذلك الجندي، ثم أغلق الباب. وكان وهو صاعد وهي من خلفه يسائل نفسه في ألم: لم تسرع في إيوائها؟ وكيف جاراها فيما ادعته وقد تكون هاربة بعد أن سرقت ما وصلت اليه يدها؟ ولكنه تذكر رواية رجل البوليس من أنها كانت تبكي وأن دموعها لا زالت تنحدر من عينيها في جزع وصمت؟ ثم لم لا تكون يائسة مضطهدة ففرت لهذا السبب. وعند ذلك تنفرج أساريره وتنبسط نفسه وما فعل شيئاً بجانب ما فعله صديق أبيه حين قصده في لبنان ودهمه قطاع الطرق.

ويظهر أن الفتاة أدركت من سكوت كامل افندي أنه نادم على ما اندفع إليه فقالت ياسيدي: إني لم أكن خادمة وما ما لولا موت أبي فاضطررت إلى الخدمة، ولكن اتضح أن الشاب الذي أرسلت إليه اليوم أغرب ويعيش وحده فما كاد يدخل الليل حتى أخذ يخاطبني بلهجة غير اللهجة التي يخاطب بها المخدوم الخادم، ثم أخذ شيئاً فشيئاً يقترب من غرضه حتى انكشف لي، فرفضت. ولكنه حاول أن يأخذني غصبا فقاومته حتى مزق ثوبي وجرح ساعدي. وأخيرا دفعته عني وفررت. وقد كذبت على رجل البوليس فلم يشأ أن يصدقني وطرق الباب. وعند ذلك اضطربت وبكيت خشية أن يفتضح أمري. على أن هذه الصرة بين يديك يمكنك أن تلقي نظرة على ما فيها.

— ولكن يا...

— سميحة ياسيدي

— ولكني ياسميحة أنا أيضا أغرب وأعيش هنا وحدي فكأنك ما فررت من النار إلا إلى النار أليس كذلك؟

وكانت الفتاة في خلال ذلك تنظر إليه من طرف خفي وقلبها مطمئن فصاحت:

مش كل الناس ياسيدي

وعند ذلك قال: لها إذن ستنامين هنا إلى الصباح. أتبعيني لأدلك على المكان الذي تقضين سواد هذه الليلة فيه. ثم أخذها إلى غرفة خادمته التي استأذنته في غياب ليلة فتأخرت ليلتين. وبعد ذلك عاد إلى غرفته لينام هو أيضا.

ولكنه كان مشدود الأعصاب مشتت الخاطر فلم تجد عيناه سبيلا إلى النوم وقد ذكر ما تعاني خطيبته وأمها أيضا بعد أن كشر لهما الحظ فأخذتا تضربان في بطن الأرض هائمتين في دنيا الهموم والأحزان.

وما كانت الفتاة كذلك ليطرق جفنيها النوم وهي تعلم أنها لن تنام تلك الساعات القليلة الباقية إلا لتفتح عينيها عند الصباح على جفوة الطريق وقسوة الناس ومرارة الفاقة وذل السؤال، ولذلك كانت تبكي وتقول: لو أن تلك الخادمة لا تعود فتحل محلها! إن هذا الشاب الكريم الذي أنقذها من موقفها مع رجل السلطة لن يتردد في استبقائها مكانها. ولذلك لم ينبثق نور الصباح حتى أخذت تكنس السلم وتنظف الغرف وترتب الأثاث، ثم استعانت بما وجدته في ثلاجة المطبخ من اللبن والشاي على إعداد طعام الإفطار، حتى إذا استيقظ كامل افندي دهش وسر فلم يتعرض لمسألة خروجها وأثنى عليها

ومن حسن الحظ أيضا أن الخادمة الأولى اعتذرت من عدم العودة بالزواج فأثلج ذلك صدر سميحة وأخذت تدبر كل شئون البيت بمفردها. وكانت

فى عملها تتوخى دائما السرعة والدقة وسلامة الذوق حتى إنه كان يجد ما على مكتبه منظما تنظيما غريبا وهو يرى الكتب العربية فى جانب والأفرنكية فى جانب آخر، والدواة والأقلام مغسولة براقة زاهية، وورقة النشاف المستعملة منزوعة

وكانت جريدة الأهرام تصل باستمرار فى صباح كل يوم فاشترت لها حالة من الخيزران على مثال ما يجده الناس فى المقاهى، وكانت تتلقاها فى مكان قريب من المائدة حتى إذا وقعت عينه عليها ساعة إفطاره تناولها بسهولة . وكانت بعد إطلاعه عليها تحفظ أعدادها فى مكان خاص فاعلة بطلب الرجوع إلى عدد منها .

وكان المطبخ فى عهد الخادمة السابقة قذرا مهملا فأخذت فى تنظيفه وترتيبه وتجديد كثير من الوسائل اللازمة له فأوصت النجار بعمل حامل يحفظ الأطباق بين قوائمه وأعدت كذلك مائدة كست سطحها بالزنك لتيسير غسل المواعين والآنية .

وكان سيدها لا يحاسبها على ما تأخذ كل صباح من المصاريف اليومية، فكان ما يزيد منها على الحاجة تشترى به ورقا أمريكيا للمرحاض أو طوابع بريد كانت تضعها على المكتب فى مكان ظاهر، كما أنها اشترت تقويما مما يعلق على الحائط كانت تنزع منه كل صباح ورقة اليوم المنصرم، وكذلك اشترت جرسا على شكل سلحفاة وضعته إلى جانب الدواة حتى لا يجهد سيدها نفسه بالنداء عليها

وكل ذلك أعدته ولم يمض عليها أسبوع من يوم التجائها إلى الدار مما أدهش كامل افندي وجعله يشعر بأنه لم يكن أمام فتاة عادية كان أول عهدها بالخدمة ذلك اليوم الذى فرت فيه

وكان لكامل افندى عمارات ضخمة فى بورسعيد أقام عليها وكيلا يحصل له ايجارها ويرسل به اليه كل شهر مع كتاب مطبوع فى رأسه اسم « دائرة كامل أفندى الزاهد ببور سعيد » فأراد كامل افندى أن يكتب له فى شأن مستعجل من شئون تلك العمارات ثم وضع الكتاب على المكتب وفى الصباح خرج بعد أن أوصاها بسرعة إيداعه صندوق البريد لأهميته . ولكنها وجدت الغلاف خلواً من العنوان فخطر لها أن تطلع على خطاب ذلك الوكيل وهكذا كتبته فوقه ثم أرسلته . غير أن الوكيل لما تسلمه لاحظ خلافاً بين خط الغلاف وخط سيده فخشى أن يكون من حمل الكتاب إلى مكتب البريد فتحه ليطلع على ما فيه ولذلك نبه سيده إلى ذلك مع إعادة ذلك الغلاف

أما كامل افندى فقد أدرك أنه نسى كتابة العنوان وأنه ليس هناك غير سميحة التى استكملت ذلك النقص حتى لا يفوت الغرض الذى قصده فأكبرها، وقد ظهر له أنها مثقفة تجيد القراءة والكتابة كما أنها فطنة ذكية تقدر ما يجب للقيام بتنفيذ مطالبه على الوجوه التى ترضيه وتتفق مع ما تتطلبه من العناية والسرعة .

نعم، إنه لما سألها عما إذا كانت تعرف القراءة والكتابة أنكرت وقد صبغ خديها الخجل، ولكنه لم يناقشها إذ قد تكون ظنت أنها تصرفت فى أمر الغلاف تصرفاً غير لائق أو أنها لتواضعها تنفر من مظاهر الاعتزاز والكبرياء

ومرة أخرى دخل عليها المطبخ فوجد بين يديها قصة الشاب الفقير لأوكتاف فولييه، فما إن رأته حتى نهضت مضطربة وطوت الكتاب بعد أن

وضعت عند الصحيفة التي كانت تقرأها عود ثقاب لتهتدي اليها ، فلما تناوله قال إنك تجيدين الفرنسية أيضاً يا سميحة، ولكنها أجابته سلباً وأنها فقط كانت تتسلى برؤية المناظر المصورة مع أن تلك الصحيفة كانت خالية منها

قضت هاتان الحادثتان وقضى نشاط سميحة ونضوج تفكيرها وقوة ملاحظتها مما ذكرناه على كل شك فى أنها من أسرة رفيعة لا بد أن الزمان وقف فى طريق سعادتها . وكان فى ذلك اليوم قد قصد إلى البنك وقبض منه مبلغاً فناولها منه عشرة جنيهات قائلا خذى هذه يا سميحة واشترى به فوراً ملابس تليق بك فانى أريد أن أراك من اليوم فى غير هذه الأسمال .

وهكذا ما حان موعد طعام العشاء حتى كانت سميحة فى زيها الجديد آية من آيات الحسن والرشاقة وهى فى سن الرابعة والعشرين التى تكتمل عندها الأنوثة وتبرز اللاحة .

ولقد لفت نظره قرطاً فى أذنيها من ماس صناعى فأسرع إلى خزانته وأخرج منها قرطاً من ماس ثمين كانت تتحلى أمه به ، ثم شبكه فى أذنيها بيديه المرتجفتين بدلا من ذلك القرط الكاذب وجسمها ينتفض وأنفاسها العاطرة تتلاحق وعيناها الساحرتان تنظران إليه فى صمت أبلغ من الكلام كله شكر

وكانت المائدة حاضرة وقد زانتها بوعائين أطلت منهما مجموعتان من الورد الزاهي المختلف الألوان كما أن غرفة الطعام كان يضمرها نور ساطع قوى وقد ضاعفت عدد مصابيحها . وكان النور ينعكس على قرطها فتنبعث منه شرارات متألقة تتحرك بتحرك القرط فى أذنيها الجميلتين ، وقد ظهر وجهها الصبوح تحت شعرها الأسود اللامع بدراً فى ليل ، وعيناها النجلاوان وأنفها الدقيق وفمها الذى يطلب القبل . كل ذلك يبتسم فى جو يموج بأثير الشباب. وما كان هذا الوجه البديع إلا ثمرة شهية أطلت فوق غصن قدها المعتدل الناعم وقد زانه نهداها البارزان وبطنها الضامر وأعطافها اللينة وساقاها الجميلا التكوين مما يأخذ باللب ويغرى بالحب ، حتى أنه حين أخذ مجلسه من المائدة قال لها : من الآن يا سميحة نتناولين الطعام معى . اجلسى هنا أمامى فما أنت بخادمتى وإنما أنت سيدة بيتى . وكانت حيرى مترددة فألح عليها؛ حتى إذا انتهيا من الطعام أسرعت إلى المطبخ وعادت تحمل طبقاً واسعاً من الصينى به قرص شهى من التورتة ظن أنها اشترته من أحد حوانيت الحلوى . ولكن كم كانت دهشته لما علم أنه من صنع يديها ، وأنها اشترت مما تقتصده قرناً صغيراً لهذا الغرض وغيره. وأخيراً عادت إلى المطبخ، فلما طال غيابها خف خلفها ببطء فرآها تبكى . وعند ذلك عاد دون أن تلمحه وهو يسائل نفسه من عساها أن تكون هذه الفتاة ؟

* * *

وكان من عناية كامل افندى بسميحة أن أفرد غرفة خاصة لزينتها كما أعد لها سريراً فخماً فى الغرفة المجاورة لغرفة نومه . وكان إذا خرج اصطحبها فى سيارته التى كان يقودها بنفسه ، وكانت تتولى هى قيادتها أيضاً فى بعض الأحيان . أما إذا عاد فى

الليل من رياضتهما فكانا يشتركان فى الحديث والمطالعة

أصبحت سميحة الشغل الشاغل لكامل افندى لا يفتأ يفكر فيها ويعجب بمحاسنها وينمره السرور عند كل حركة من حركاتها حتى كادت تنسيه تلك التى أرادها له أبوها وأبوه، وقد أخذت سميحة تنزل رويداً رويداً إلى أعماق ذلك الدير الذى أقامه فى فؤاده لتلك الذكرى

وفى ليلة من ليالى القمر قضياها فى طريق السويس عادا إلى الدار وقد تملكه حبها ولم يعد يستطيع صبراً عليها فأخذ يداعب شعرها ويتلطف معها ويسائلها من أنت أيها الملاك الذى هبط على من سماء وحشتى ؟ أو لا أعرف على الأقل من أنت ومن أبوك ومن أمك وما هى أحداث القدر التى حاربتهما وحاربتك ؟ تكلمى . إشفى غليلى فانك لم تعودى الآن إلاجزءاً منى بعد أن تلاشت روحك فى روحى وامتزجت نفسك بنفسى . ولكنها ظلت تنمره بنظرات فاترة ضالة وقد عجم لسانها الصمت وغلبها الحياء. وأخيراً قالت له : ماذا يهمك من أمرى ومن أمر أبوىّ . بالله عليك أن تترفق بى ولا ترجعنى إلى ذلك الماضى الذى أحاول نسيانه لأنه لم يثمر غير شقائى ...

— إن من واجبى إذن أن أحول بينك وبين هذا الشقاء

— هيهات

ولكنه أمسك بكفيها وقال متململاً وهو يحدق فيها :

— إننى أحبك يا سميحة

وعند ذلك عادت إلى حلمها ونظراتها الشاردة تسبح فى فضاء الغرفة كأنها تفتش فيه عن شىء مفقود

— أو كثير عليك أن تقابلى هذا الحب بمثله ؟

— إننى لا أنكر ما لك على من الجميل ياسيدى. ولكن فى هذا القبر (مشيرة إلى قلبها) شبحاً دفيناً يغوص فى تراب الذكريات البعيدة ، فبالله عليك لا تحاول أن تثيرها فإنك لا تعلم مبلغ ما تجدده لى من العذاب

— إذن أنت تحبين يا سميحة ؟

— .....

— قوليها كلمة صريحة وإن كان عذابى فيها فانى بقدر ما أحببتك وأكرمتك أكرم أيضاً هذه الصراحة فيك

— ... نعم

— نعم : إن من الكلمات القليلة الحروف ما يحقق سعادة أو يحطم حياة ... ولكن من عساه أن يكون هذا السعيد ؟ من هو وأين هو ؟

— إنى أجهله يا سيدي ...

أنت أيضاً ! أنت أيضاً تجهلين مكانه كما جهلت أنا مكانها . والحظ الذي يجمعنى بك ويملأ نفسى منك هو الذى يهدم الآن سعادتى ويباعد بينك وبينى . ولكنك على كل حال أكبر منى نفساً وأكثر وفاء ، فأنت لا تزالين على عهده أمينة وفية بينما أنا الشقى أسدل الآن ستاراً على عهدها وأنساها

وعند ذلك أفلت كفيها من يديه وارتمى على مقعده خاراً ذليلا . أما هى فمقدت ساعديها حول

رأسها وأخذت تبكى . وأخيراً قالت له فى رفق وخشوع : إن لى عندك حاجة يا سيدى لعلك لا تخيب رجائى فيها

— وما هى ؟

— أن تأذن لى بالذهاب عن هذه الدار حتى لا يطول عذابك ... وعذابى

— ماذا ؟ وهل جهلت يا سميحة أن بعدك عنى الآن يضاعف هذا العذاب وربما قتلنى . بل تبقين إلى جانبى حتى تهتدى إليه فأجمع بينكما وتعيشان سعيدين .

— وأنت ؟

— وأنا أعيش فى ظل هذه السعادة صديقاً وفيا

كم كان موقفه معها فى هذه اللحظة القاتلة نبيلاً . وكم كانت هى أيضاً تحبه وتتهالك عليه وهو جميل رشيق شجاع عادل ، لولا ذلك العهد ، وكان قد غلبه النوم فأيقظته فى رفق لينتقل إلى سريره ويرتاح .

ولكنه لم يلبث أن شعر برأسه يدور وجسمه ينحل ويتفكك وقد ثقلت أطرافه وزادت حرارته فعكفت على تمريضه . وأغلقت النافذة التى بجواره منعاً لمرور التيار . ولكنها فتحت النافذة الأخرى البعيدة عنه حتى يتجدد دائماً هواء الغرفة ثم ناولته قرص اسپرين كما أعطته ملينا فقد يكون الصداع الذى يشعر به بسبب سوء هضم أصابه . وكانت بين فترة وأخرى تختبر حرارته بترمومتر أسرعت فى شرائه . وقد لاحظت أن حرارته ترتفع شيئاً فشيئاً حتى إذا بلغت ٣٩ درجة وخطين انزعجت وأسرعت إلى دفتر التلفون لتستدعى فى الحال طبيباً

وبينما هى تنتظر عودته وهى على أحر من الجمر كان هو يهذى فى نومه فيذكر أبويه ويذكر اسمها والجبل ودير القمر وساعداه يمتدان فى الفضاء كأنه يناجى ويتوسل . وعند ذلك ذهب بها الظن إلى أنه كان على نية السفر إلى هذه الربوع لأنها وجدت دليل المصيف من بين الأوراق التى على مكتبه

وعند ذلك سمعت حركة سيارة تقف عند الباب وما كان الطارق غير الطبيب فأسرعت به إليه ولكنه كان نائماً فرأى ألا يوقظه واختلى بها فى غرفتها يستفسر منها عن يوم إصابته وعن أعراضها وعن الاجراءات التى اتخذتها فى تلك الأيام الخمسة التى مرت عليه وهو فى تلك الحالة . وكم أعجب الطبيب بكل ما فعلته ولاسيما بالبيان الذى حرصت على أن ترصد فيه درجة حرارته فى خلالها . وكان كامل قد استيقظ لأنه ناداها عليها فأسرعا نحوه وقد دهش لعنايتها به إلى هذا الحد

وبعد أن فحصه الطبيب لم يجد به أثراً لأية علة فقلبه سليم ومعدته طاهرة من العفونة إلا حمى رفعت حرارته إلى ٣٩ درجة ونصف لم يكن سببها برد تعرض له . وعند ذلك لم ير إلا أنه وقع تحت تأثير سيء وصدمة شديدة لم يتحملها ، فشرح كل ذلك لها قائلاً : إن الجسم كما يتسمم من سوء الغذاء والشراب ، يتسمم كذلك من اضطراب الفكر بسبب حادث مفاجئ أزعجه . فهل مر به شيء من ذلك أو هو على الأقل تسكدر لسبب من الأسباب ؟ وعند ذلك التفت كامل إليها والتفتت إليه ثم سكتا .

فأدرك الطبيب أنه لم يخلص فيما انتهى إليه بحثه . ولذلك أوصاه بالحذر من الوقوع مرة أخرى تحت سلطان مثل هـذه المفاجآت ثم قال له : إنك على ما أرى دقيق الحس إلى حد أن أقل اضطراب يؤثر فى أعصابك ثم فى جسمك. سأكتب لك الآن عن دواء يشفيك من هذه الحمى فتعود حالتك إلى طبيعتها الأولى . وربما كان من حسن حظك أن هذه السيدة الفطنة إلى جانبك ، فهل هى ممرضة ؟

وعند ذلك قال المريض: نعم يا دكتور مع تغيير فى شكل بعض الحروف، فلم يفهم غرضه ، ولكنها فهمته هي ، وقد أراد بذلك سكون الميم الثانية مع كسر الراء ، ولذلك لم تستطع أن تحبس دمعها

— هلا ترى يا دكتور أن يذهب إلى الجبل لقضاء فصل الصيف فيه ؟ ...

— نعم . نعم . ولكن بعد أن يجدد قواه

ثم انصرف

أما كامل فقد أدهشته هذه الاشارة ولكنه حملها على هذيانه فى نومه بعد أن ذكرت ذلك له ، ثم قال لها:

أوعَيْتِ ما ذكره الطبيب يا سميحة من أننى أكون سعيداً إلى جانبك على شرط أن أحذر مثل تلك الصدمة ... ولكن ثقى بأنها لن تعود ، وأننى سأطيب وسوف لا أخون العهد الذى قطعته لك . سأعيش يا سميحة إلى جانبكما كما وعدتك فحسبي بعد ذلك من هذه الدنيا أن أراك سعيدة . وعند ذلك لمحت شبح الخطر يتمثل لعينيها لأن تلك الصدمة لن تلبث أن تدهمه مرة أخرى وهى تعلم مبلغ ما فعل حبه لها فيه . ولذلك أخذت توازن بين بقائها على عهدها نحو ذلك الغائب الذى لا أمل في عودته وبين أن تهوى بقبلتها على جبين هذا الذي أحبها وأكرمها ويريد أن يضحى بسعادته ويعيش معذباً فى سبيل سعادتها. ولكن دافعاً خفياً كان، كلما همت إلى تنفيذ عزمها ، يستوقفها

وقد خطر لها أن تنقل إلى ذلك الركن الخالى المقابل لسريره منضدة فى غرفتها حتى تكون على مقربة منه فيمكنها القيام عليه . ولذلك حملت تلك الصورة لتنقلها إلى مكان آخر وكان التراب قد علاها وهتك غلافها فنزعته عنها . ولكنها وقفت ذاهلة مسمرة فى مكانها وهي لا تصدق عينيها ، إنها صورة أبيها وهـذا خطه فى ذيلها حين أهداها إلى صديقه تاجر الفاكهة فما الذى انتقل بها إلى هـذه الدار ، لعله اشتراها من تركته ، ثم لـماذا يحرّم الفاكهة على نفسه مع أنها من خير ما ينفع الأجسام حتى أن الطبيب نفسه أشار بها

وعند ذلك اقتربت منـه وكانت حرارته قد انخفضت درجتين فتهلل وجهها ثم استأذنته فى أن تحضر له فاكهة كما أمر بذلك الطبيب، فقال لا بأس ما دام قد أشار بها ولكنها لن تكون كتلك التى كان يطعمنا إياها أبي ...

— أبوك ؟

— نعم . ألا تعلمين أنه كان من أكبر التجار فيها

— ولمَ لم تقل لى من قبل يا كامل ؟ الآن أبشرك بأننى قد اهتديت إلى مكان تلك التى أرادها لك

— أنت ؟

— نعم ... أنا . وسوف لا تعود إليك بعد الآن تلك الصدمة التي كنت أنا السبب فيها . سوف تجتمعان فلا تحنث في عهدك الذي ربطك به أبوك كما تكون خير عون لي مع احترام عهدي فلا يضيرك بعدئذ أن أتزوج أنا أيضاً به

— به ؟

إنه في تلك اللحظة شعر بسلطان حبها عليه بعد أن نسي الأخرى . ولكنها لم تمهله فطوقت رأسه بساعدها وحدقت بعينيها في عينيه قائلة: إنها أنا يا كامل وهذا شاهد على ذلك من أهلي ... أبي

ثم طبعت على ثغره الملتهب تلك القبلة الحارة التي طالما اشتهاها وطالما حبستها

* * *

ما كاد كامل أفندي يتماثل للشفاء حتى أرسل إلى وكيله بكتاب طويل ولكن الرد عليه لم يصله إلا بعد عشرين يوما تقريباً . وقد جاءه من لبنان مما يدل على أنه كان قد كلمه بالقيام إليها . وعند ذلك كاشف سميحة وأمها بعزمه على القيام معها فورا إلى الجبل ، إلا أن هذه الرغبة لم تصادف هوى في فؤادهما ، وقد غلبت عليهما ذكرى دارهما التي ألفاها ونشأت سميحة فيها وقد خرجت من أيديهما . ولكنهما مع ذلك رضختا والطبيب هو الذي أشار بذلك .

ولما وصلوا إلى دير القمر قصد بهما أولا إلى قبر عائلتهما لزيارته ثم عاد بهما وقد ظنتا أنهم سينزلون في خان بالقرية حتى أنهما لما مرت بهم العربة أمام الدار حولتا عيونهما عنها وقد اغرورقت بالدموع .

ولكن كم كانت دهشتهما عندما رأتا العربة تقف بهم عند بابها

لعله إذن سعى عند مالكها في أن يأذن بزيارتها أيضا قبل الانتقال إلى ذلك الخان . وكانت الدار على عهدها السابق إلا أنها أصبحت أزهى لما تناولها من التعمير والتجديد . وكان أثاثها جديداً فخما وكان كل شيء فيها مستكملا مرتبا أحسن ترتيب . فأخذتا تطوفان في غرفها ومسالكها وكأنهما في صمتهما تتخاطبان : هنا كنا نأكل ، وهنا كنا ننام ، وهنا كان — رحمه الله — يجلس ، وهنا كان يستقبل أصدقاءه من التجار ، ولكنهما كانتا تشعران بالألم والمرارة وهما لا تلبثان أن تبرحاها حتى إذا همتا بالنزول أوقفهما كامل افندي قائلا : إلى أين ؟ إنها كانت داركما وهي الآن كذلك . لقد سبق أن اشتريتها ثم كلفت وكيلي بتعميرها وتأثيثها حتى لا تنزلا في سواها ...

ومن محاسن الصدف أن صديقه لما علم بسفره إلى لبنان أدرك أنه قصد إلى دير القمر العزيز عليه فوافاه إليه . وكم كان سروره لما علم بكل ما ذكرناه هنا حتى قال له : الآن قد استوفيت عناصر قصتك فأي عنوان ترى أنه يليق بها فقال كامل افندي : لا أدري للآن

— سمها دير القمر

— أو دير سميحة

محمود خيرت

هل مات مسموما

للكاتب "ليوكوزيانوف"
بقلم الأستاذ محمد المطبعي جمعة

تسألني متى عرفتها، وكيف عرفتها. تالله إن أمرك لعجيب، فقد رويت لك هذه القصة عدد شمرات عثونك التي لا تفتأ تنتفها من الهوس وفقد الذاكرة

لقد عرفتها يا صاحبي في صيف تلك السنة التي عرفتك في خريفها. هل في هذا التدقيق إبهام أو غموض؟ هل كانت سعيدة في زواجها أي قبل اتصالنا؟ من يدري؟ ولكن من ذا الذي عرف الدنيا وخبر أخلاق رجالها ونسائها فراح بعد ذلك يشك فيما قد أصاب تلك السيدة من البلاء على يدي زوجها.. لقد وصفته لي كأنني أراه وأسمع صوته، وقد رأيت أناساً هبطوا إلى أسفل درك الشيخوخة حاملين في أحشائهم جمرة صبابة الصبا، وحرقة غرام الشباب. وكان ذلك الزوج منهم. ولكن لكل امرأة جميلة وصبية أن تعد مسؤوليتها من العقد ساقطة متى عجز الزوج عن حمل مسؤوليته. فإن حبها لا يبقى بعد زوال قوته... مالي أراك تحدق فيّ كأنني أكلت ميراث أبيك أو هدمت قبة كنيسة القديسين بطرس وبولس؟ لست حارساً على هيكل الفضيلة. وأنا أقرر الواقع. أنا لا أنكر أنه قد يحدث أحياناً خلاف ما ذكرت، كما يروى كثيرون ممن شاهدوا وجربوا. أن بيوتاً عدة لم يطفأ قط فيها سراج الحب المقدس منذ أشعل ليلة الزفاف

إيه؟ ماذا تقول... تهمس ولا ترفع عقيرتك. كلام معيب.. نخجل من تكراره... ها.. ها ها.. صدقت.. تمام. أي نعم.. إن سراج الحب الذي يصب نوره على العروسين ليلة الزفاف لعرضة لألف ريح وإعصار يهبان عليه من الدخنة فيطفئانه وربما أخمدته قلة الزيت... ها ها... الزيت. مفهوم. مفهوم طبعاً. إن المرأة ليست سيارة. قد تكون كوكباً أو نجماً مذنباً... ولكنها ليست سيارة. فإذا ما نضب الزيت، حينئذ ترى الزوجة بائسة يائسة تحيى الليل المظلم الطويل أرقاً بينما الزوج يغط في نومه لا يبالي ولا يكترث. نعم؟ آه الحالة المضادة لما أقول... دائماً المحاسن والأضداد. أنت ترى حالة الرجل المسكين قد تزوج من خداعة لا قلب لها ثم انتبه من حلم الزفاف الباطل إلى الحقيقة المرة. لقد هيأ الزوجان لنفسيهما فراشاً لا بد أن يرقدا فيه حتى يفرق بينهما الأجل، زيجة أورثوذكسية على قواعد عقيدتنا الدينية...

تعريف بالقصة

ليوكوزيانوف كاتب روسي من العهد القيصري، تأثر بمدرسة تورجنيف وبوشكين، وأدريف في القصة القصيرة، وكان صديقا حميما ليوتين الذي حاز جائزة نوبل، ودرس ليوكوزيانوف الرياضة والميكانيكا، في جامعتي زوريخ وجنيف، كما درس حياة العناصر والأوساط الثورية، التي هاجرت أو فرت إلى خارج روسيا ولجأت إلى سويسرا وإيطاليا. ودأبه بعض الغموض اللذيذ في العقدة، والجلاء في وصف الشخصيات وتحليل النفسيات ولا سيما النساء من أبطال قصصه. وقد نقلت هذه القصة «هل مات مسموما؟» إلى الفرنسية ونالت جائزة مجلة ليزانال Les Annales ونجحت نجاحا عظيما

لا ، لا . المرأة التى تعرفها لم تقبل ولم تخضع . لقد سارعت إلى الفرار وهى تحمل فى أحشائها الجنين .. الذى حملت به ليلة الزفاف، ويالها من ليلة! لقد قضت عامين اثنين فقط أثناء الخطبة والزفاف . وكنت أعرفها قبل الزواج ، فعرفت فيها الشباب والجمال والمرح وعدم الاكتراث للحياة ... لقد كانت قبل عامين طفلة . أمُ طفل وكانت تفيض على كل من يراها من ابتسامتها كضوء الشمس ، منبع الحياة والأنس . ولكن عند ما أيقنت أنها دفنت زواجها وشبابها فى قبر الشيخوخة المعتمة أسنّت فجأة كما يهرم الذين يكابدون الآلام النفسية الجسيمة فى سكينة وصمت . . . إنها علمت أموراً كثيرة كانت لا تخطر لها قبل على بال ... فلما تعلمت ما تعلمت على يد ذلك الأستاذ الكريه (الشقاء) ثارت حميتها فنبذت كل طاعة . ولكن بعد أن كابدت مرارة الفجيعة فى حياتها التى قضى عليها أن تسلك منهاجها وحدها

أى نعم ! لقد عرفتها فى تلك الفترة .

وفى تلك اللحظة دخلت مدام اوجستا دمانسكى ، فلما علمت ان الحديث بيننا كان بشأنها تضرج وجهها من فرط السرور والخجل . وكانت فى مشيتها ونظرتها أزهى من أميرة . وعيناها بلون القطيفة ، ونعومتها فى شكل النرجس الفض ، وكانت لخديها صفرة تخالطها حمرة وخضرة كأنهما خدا تفاحة نضرة أو زيتونة عطرة ، ولما صوت لين غنى بالأنغام المؤثرة المشجية، ولفتات هادئة ونظرات عميقة. وقد فاجأت كرولنكو ذلك الفيلسوف ذا المئون المتنوف وهو يهز كتفى قائلاً : اغرس غرسك أيها الغلام واغتنم من دهرك ما ساقه اليك القدر . والله لوددت لو أرجع صبياً فأدخل الجامعة لأرشف رضاب العلم ، وأشهد التمثيل خالى البال ، وأهصر أغصان الصبايا خاوى الوفاض من المال . أحب الحياة التى يكون فيها حبيبى وفؤادى فارغين . فلما سمع صوت حفيف حرير التافيتا الذى كانت تخب فيه أوجستا رفع رأسه وألقى عليها نظرة عجلى ثم أطرق . فخجلت كما خجل فتقدمت اليه وقالت له: عم صباحا يا ايليا ايليا نقتش. كيف حال السيدة حرمك ؟ إننى لم أرَها ولكن أعرفها بالشهرة الذائعة . فنهض ايليا ايليا نقتش وتناول يدها الطائلة الممتدة اليه فى عظمة امبراطورية وقبل أطراف البنان . فلم تمهله حتى يبلع ريقه ويتكلم: بل قالت وفى صوتها لهجة حزن وشىء من التهكم « حقاً إن دارنا هذه لموحشة ، دار سمجة عنيفة مظلمة . نصفها خَرِب وسائرها ناقص الأثاث والرياش . ومن كان مثلك قد تعود محافل الأنس والحبور ومجالس السمر والفكاهة فى لندن وبرلين وفارسوفيا ، لا يرتاح إلى مسامرة امرأة وطفلها وصديقها الطالب بالجامعة (تشير إلىّ) ولا يقر عينه مثل هذا المجلس وقلة أنسه . والواقع أننا لا نصلح لضيافتك . فأما إسعادك وإدخال السرور على نفسك ففى غير هذا المكان ملتمسهما ومطلبهما فانتظر عودة أمى ...

فقال ايليا ايليا نقتش : لعنة الله على القيصر وجميع أسرة رومانوف يا اوجستا فيلبوفنا إن كنت أدرى أتجدين الآن أم تمزحين ! فدنت منى وتناولت أناملى تعبث بهما وكان ولدها بوريس قد دنا منها فتناولت خصلة من شعره تلاعبها باليد الأخرى . وأخذت تنقل عينيها من وجهي إلى وجه الصغير الساهم ثم وجهت الحديث إلى الرجل الناضج :

— إني أجدُ يا سيدى ايليا ايليا نفتش ، وهل هذا المقام يحتمل مزاحاً ؟ ثم صوبت نحوه نظرة عظمة وأبهة ورنت إلىّ بلحظها الفاتر كأنها تناجيني

فأبرقت عينا ايليا ايليا نفتش وقال مسرعاً ألفاظاً مترا كمة كأنها قطع من الحديد المحمى يفصلها حداد حاذق ، بدقات على السندان متتالية كرنات ناقوس القطار السريع :

— أحقاً يا أوجستا فيلوبوثنا أنك حتمت على هذا الفتى أن ينمى شعر لحيته الغضى ليبدو للناس رجلاً ناضج السن ، فلا يلفت أنظارهم اليكما بفتوته وكمال نموك ، فان الفارق فى السن ملحوظ بينكما لدرجة أنك تخجلين من مصاحبته . وإن بعض الناس ليظنك أمه خصوصاً فى مصلحة البريد عندما قال له موزع المكاتيب والطرود : أخبر السيدة المصون والدتك أن لها خطاباً مسجلاً ولا يمكننا أن نسلمه إلا اليها يداً بيد ... أليس كذلك يا ساسا ؟

أما أنا فقد أصابنى دوار ، كأنني أخوض غمار البحر فى سفينة مخروقة ، ودارت بى الدنيا ورأيت ألوان قوس قزح ترسم أقواساً أمام عيني ، ثم سمعت فى أذني طنين ذباب لا ينى ولا يكف ، وقد فقدت توازنى من هول ما سمعت من الاعتداء على كرامة سيدة وشرف رجل . إن هذا الرجل كان يكلمنى فى صفاء وحسن نية ، وهأنذا أراه يتهجم على عرض السيدة التي أحبتني وأحببتها ، بأفظع القول ، وأقذع السب ، وأمر القذف ...

وعند ما دخلت زنيا (خادمتها الخاصة) بطقم الشاى لم تتردد أوجستا فى خدمته بأن سألته فى أدب عن عدد قطع السكر التى تكفيه ليزدرد فنجانه ، وقد تمنيت أن يكون منقوع الزرنيخ التي ، لتخمد أنفاسه . ولم يكن أقل ثباتاً منها فقال : ثلاث قطع من فضلك . كأنه لم يأكل حلواً فى طفولته فهو يعوض على مائدتنا ما فقده فى صباه ...

وفى خلال تلك اللحظات لم ينقص أدب السيدة ذرة ولم تقل محاسنها فى عيني ، فكان وجهها لا يزال يحمل لى ألطف الابتسامات وأرق النظرات ، وإن لم تكن تلك الابتسامات من الفرح والسذاجة على مثل ما كانت عليه إذ هى تلاعب طفلها وتداعبنى . وشيئاً واحداً لحظته يدل على ماطرأ من التغيير ، لقد كان صوتها عميقاً كأنه خارج من قاع بئر . ولو كان للأصوات ألوان إذاً لكان صوتها أبيض مشرباً بزرقة الفجر ، وقد دهشت حقاً من جرأة إيليا إيليانوفتش الذى عهدته وديعاً . لقد كان موقفاً حرجاً حقاً بيني وبينهما ولم ينقذه إلا وصول أمها فى هذه اللحظة فيدورا كيليا نوفنا ، فقد كانت فى سياحة قصيرة فى نيون ، فلما وقع بصرها على إيليا إيليا نوفتش قالت له :

— ها أنت ذا أيها الشيطان الأزرق ، لا تزال على قيد الحياة ، وقد احترفت مضايقتنا فى كل مكان ، أمالك عنا منصرف ؟ فاحتقن وجه الرجل وجحظت عيناه ولكنه ضبط نفسه وقال :

— أهذه هى التحية التى تدخرين لى منذ فراقنا فى ايسيا ناپوليانا ياأمي العجوز .

فقالت فيدورا كيليا نوفنا : لئن كنت أمك العجوز كما تزعم أيها الشيطان الأزرق إذن لتكلمنك بأسرع مما فقدت أم موسي ولدها الوحيد .

فضحكت من سرعة خاطر هذه المرأة التى كنت لا أميل إليها لأنها كانت ذربة اللسان موجعة الهجاء ، وإذا كانت قد نازلت فى حومة النضال كل

منافساتها من فاتنات عصرها ، فلا جرم أن تكون قد كابدت من المنازعات ما لا يحيط به حصر أو استقصاء .

فقال لها إيليا إليا نوفتش فى هدوء قاتل :

— لا عليك ياأمنا المجوز ، سواء أشكانى أم لم تشكانى ، ما دام الله قد عتق رقبة زوجك الذى كنت تجودين عليه بالضرب الوجيع لغير ما علة يدريها . وإنى ما أردت إلا إنقاذ هذا الفتى المسكين ساشا (يقصدنى ويدللنى إذ حقيقة اسمى كما لايخفى عليك الكسندر دريانوف) الذى لا يزال فى صحوة شبابه من الوقوع فى مخالب ابنتك ، لأنها حديثة السن مليحة التفاطيع فلا يخدعنه حسنها وشبابها؛ فغير عجيب أن تنمو الأشجار الكبار فى اتجاه معاطف الأعواد الرطاب — ألم يمت والدها مسموما بيد مجهولة ؟ قيل إنها يد أقرب الناس إليه ؟

فتقدمت المجوز نحو ذى العثنون وقالت له :

كذاب أشِر ، ونمام أثيم ، أتجرؤ أيها الغادر الفاسق أن تنال منى ومن ابنتى ، وقد أويناك وغذيناك ونجيناك من مخاطر لا عدد لها ؟ بعد أن التقطناك من حمأة الخمر وما إليها من الشرور والمفاسد

فابتسم إيليا إيليا نوفتش ابتسامة عريضة صفراء حتى بانت نواجذه وبدا وجهه كالذئب الذى يتحفز لالتهام فريسة لينة وهو آمن وقال :

دعى عنك ياأمى المجوز تلك السخافات وتنكبى بالله مواضع العبث والسخرية فى الحديث ، فقد انقضت دولتك وولى معها الزمن الذى كان يحيطك فيه أهل الدعابة والمزاح ، ولاتحقدى علىّ وأنا ناصح لأنك تريدين أن تلبثى إلى آخر دقيقة من عمرك وأنت تملأين النفس بأنك فاتنة الحسن خلابة الجمال مصرة على التحلى بزهرة الربيع وبهائه ، وقد أفضى بك العمر والمغامرات إلى قاب شتائه ، ومتبرجة فى حلة الشباب القشيب بعد أن جلل رأسك ثلج المشيب ، دعى عنك اليد المرتجفة الملطخة بالدماء

وفى الحق كان وجه المجوز مدهونا بالابيض والأحمر إلى حافات أجفانها ، فكان هذا الدهان يعمر عينيها بريقا وحشيا ، غريبا ، وكان على رأسها برج من المخرمات[1] وتحت هذا البرج خميلة من الغدائر السوداء المستعارة فلا بدع أن يكون هذا الوخز الأليم قد غاظها فتهرأت أحشاؤها من الحقد . لم أكن فى حياتى شهدت مثل هذا المنظر ، إذن هذه هى درامة الحياة بعينها . ولا يشهد أمثالى نوعا منها إلا على خشبة المسرح ، فلا عجب إذا بهتُّ وذعرتُ وأنا أرى وأسمع هذا النضال النادر ، فأخذت أحدق فى المجوز من فرط الدهش بعينين تقاربان فى السعة عينيها ، كما كنت أحدق فى الممثلة التى كانت تمثل فى الماضى دور الملكة الشريرة .

ثم نظرت إلى وجه أوجستا حبيبتى وكريمة تلك المرأة المخيفة ، فاذا هو ممتقع بلون الكركم الصينى وهى ترتجف من قمة رأسها إلى إخمص قدمها ، كغصن رطيب فى وسط عاصفة هوجاء .

وقد نظرت إلىّ نظرة بالغة الحزن والعتاب ، كأنها تنتظر منى أن أبطش بخصمها اللدود ، الذى

(١) نوع من الحرير المصنوع على هيأة « الدانتله » وقد بطلت هذه (المودة)

كشفت عنه المصادفة ، ولم أكن أنا الذى جلبته إلي الدار ، بل هى التى لقيته فى شارع كاردج مأوى المطاردين والمتفيين المتآمرين من الثائرين ، ودعته حنانا ولطفاً ليشرب الشاى على مائدتها .

فدنوت من أوجستا وهمست فى أذنها أسألها ما ترى واجباً على فى هذه اللحظة العصيبة . ولبث ايليا نوفتش الموتور يرنو إلى ذلك المنظر العجيب بألحاظ ماكرة رزينة . أما العجوز فقد أخذت ترفع عن رأسها تلك القبعة الضخمة التى شبهها خصمها بالبرج ، بيد مهزولة هرمة ، وكانت رواجبها المعقدة المتشنجة تأتلق بما لا يحصى من الخواتم . فانتهزت هذه الفرصة ودنوت منها وأخذت أقبل يدها بخشوع وخضوع قائلا :

— أرجو المعذرة، فالذنب ذنبي والخطيئة خطيئتى ياسيدتى ...

فأجهشت المرأة بالبكاء كالطفل ، فسارعت اليها ابنتها وحملتها إلى الباب تريد بها الخروج. ودنوت من ايليا ايليا نوفتش فبادرنى بقوله :

— أراك يا بنى مولعاً بتقبيل أيدى العجائز وإنه لأمر غير مستحسن .

فقلت له : يا سيدى . . . إننى حديث العهد بمعرفتك . ولم أكن أظن أنك تقسو على امرأة ضعيفة بهذا القدر

فقال : لم يؤن الأوان لأطلعك على حقيقة هذه المرأة بعد أنت رأيت للابنة فيك هوى وأنت أصغر منها بسنين عدة ، وكدت أراها فى موضع يقتك وكاد نجاحهما فى الاستيلاء عليك يتحقق .

فأوشكت وأنا أحرق الأرم حنقاً أن أقول له : وماذا ينفعك أو يضرك أيها الفضولى الدخيل أن تنقذني أو تتركنى أغرق ما دمت لم أستنجدك ؟ ومتى كان لمثلك أن يحشر نفسه فيما لا يعنيه من شؤون رجل رشيد ؟ ولكننى بعد أن عرفت شراسة طبعه أحببت أن أخدعه حتى أخلص من شره فقلت له :

ولِمَ ياسيدى تسلك فى ذلك سبيل القسر والاكراه ، وكان فى مقدورك أن تعالج الأمر برفق ولين ورقة، فكنت بذلك تجتذب ميلى ومحبتى، لأننى أسهل انقياداً وأطوع انسياقاً بهذه الأساليب منى بذرائع العنف والقسوة

ولم تكد كلماتى تصل إلى سمعه حتى انبسط جبينه وهدأت ثائرته وابتسم فى وجهى بنظرة ملغزة عميقة وقال لى : الحق بيدك يا الكسندر ديرباتوف ما دمت قد أدركت حقيقة مقاصدي الخيرة ، فلك علىّ أن أطيع ما تأمرنى به . فقد توصلت بقلبك الفياض بالمحبة والعطف وبفضل ما أوتيت من بشاشة وظرف إلى اكتساب ولائى وطاعتى

فدهشت من مسلك الرجل ، وخيل إلىّ لحظة قصيرة أنه قد يكون مجنوناً ، فما الذى دعا إلى سورة غضبه المفاجئة ثم انقلابه حملا وديعاً . أو قد يكون بلغ من الدهاء غايته ومنتهاه فهو يخدعنى ليستل الغضب والغيظ من نفسى كما يستل السهم من المضو الكليم. وكأنه لحظ تردد ودهشتى فقال لى: سأفضى إليك بكل شىء بعد أن نصف موقفنا ونمحو أثر ما رأيت وسمعت . فقلت: هل ترى أن تعتذر إلى هاتين

السيدتين كما يفعل النبلاء من الرجال . وإن كان فى الأمر ما يوجعك أو يشعرك بالهوان بعد موقف الجفاء والعنف الذي وقفته فافعله لأجلى وتحمل فى سبيل مودتى بعض الأذى الذى تحملته وأنا أشهد منظر التخاصم والتقاذف بالشتائم والسباب

فقال : لك علىّ ذلك ، فان كانت هذه المرأة الجحمرش الدردبيس قد أسدت إلىّ من الخير وصنعت معى من الاحسان ، فانما هو شرف تعرفى إليك فانك ممن يأسف المرء على ما مضى من عمره بدون صداقتك

فكبر الرجل فى عينى ونفيت فكرة جنونه نفياً باتاً . وصافحته ، فقال لى :

إن الحوادث التى ألمت إليها فى خصومتى مع تلك الكاهنة الشوهاء وقعت فى وقت كان القوم فيه فى موسكو وبطرسبرج قابلى الغيرة على أعراضهم حتى لقد كان أهل الشرف منهم والحسب يمدون تلوث أعراضهم بوصمة قيصرية حلية من حلى المجد والفخار . وإن هذه المرأة هى التى سودت صبى بنتها وألبست عهد طفولتها وشبابها ثوب التعاسة والشقاء. وكان زوجها لا يخرج عن كونه صفراً فى البيت لا كلمة له ولا نفوذ بل خاضعاً كل الخضوع لسلطان قرينته الطاغية ، وكان حسبه أن يزجى أيامه بين قليل من الصيد فى الحراج وقليل من الطرد وكثير من النوم وكثير من شراب الفودكا على مائدة القمار. وأخيراً زفت ابنتها تلك التى ترى إلى شيخ قد بلغ من العمر أرذله، وكاد ينقلب إلى الطفولة مرة أخرى ، وكان ساكن الريح فاتر الحركة عليه جلباب موشى بالأزهار وفوق رأسه قبعة كبيرة وهو مشتغل بمص البرتقال ، وكانت زوجته أوجستا هذه التى تبادلها الحب لاتزال تمسح له أنفه كما كانت تفعل مع طفلها؛ أما أيام الأحد فلا يزال يرتل الأدعية والصلوات من خيشومه الكبير الهرم . وقد مات الرجل بجريمة غامضة فعاد الغموض إلى نفسى من هذا الوصف الدقيق الذى دلنى على أن إيليا إيليا نوفتش جد خبير بتاريخ الأسرة من قديم . فلزمت جانب الصمت وقدته إلى حيث كانت المرأتان تجلسان وعليهما مظاهر الكآبة والألم . فلما رأتانا جفلت الصغرى وتشبثت الأم المجوز بمسندى مقعدها كأنها تكاد تغور بها الأرض وتبتلعها، فقلت: لاعليكما ياسيدتى فقد جئنا لنعتذر إليكما . وقد آلينا على نفسينا لا يغادر إيليا إيليا نوفتش هذه الدار الكريمة إلا بعد أن يصلح ما أفسد بتهوره وطيشه

فقال إيليا إيليا نوفتش :

— أى نعم ! إن العفو من شيم الكرام ، والحق ما قال ساشا الذى أتقدم به إليكما شفيعاً وكفيلا . وهأنذا ألثم يديكما وأستميحكما عذراً عما فرط منى فى حقكما . وأنت ياسيدتى الكريمة (متجها إلى تلك التى دعاها جحمرش ودردبيس منذ لحظة) أحق الناس بالمغفرة لى . وإن قصرت فى خشوعى وخضوعى بين يديك ، فلأن البطل لا يكون أبداً بطلاً فى عين سيده . وعندما نطق بهذه الكلمات التى لا أدرى كيف نمقها ومتى نسقها وفى أى قالب من قوالب الاخلاص أو النفاق أفرغها ، بدت فى عين الأم نظرة خبيثة كأنها تتفرج على مشهد من

مشاهد الألعاب . وكانت المرأة جريئة كاللبؤة المصور ، كأني بها لا توجس خيفة من أحد . أما أوجستا المسكينة فقد غاصت فى مقعدها والفزع منتشر على محياها . وكانت من قبل ممتقعة اللون هادئة الصفحة . ثم إن المرأة المجوز همت بالقيام وتوهجت دباجتها وبرقت أساريرها .

فقالت لها ابنتها :

ناشدتك الله ياوالدتى أن تقبلى اعتذاره وأن تلتزمى الصمت والسكينة وألا تعرضى نفسك لمخاطر الموت بالسكتة القلبية . فابتسمت المرأة وقالت :

— نعم نعم ، كيف لا أقبل عذره وهو ربيب دارى ، وأنيس وحشتى فى شبابى وقد كابد من الشقاء فى حياة المرحوم والدك ما كابدنا .

فجلسنا وتبادلنا الحديث والفكاهة ، نصطنع السرور ونفتعل الضحك ، ونقوم بأدوار تمثيلية ماجنة بعد الفاجعة التى مرت بنا عاصفتها .

وكان الليل قد أرخى سدوله . فقالت المجوز : تتعشى معنا ياإيليا إيليا نوفتش . فقال : كان بودى أن أجيب دعوتك ، فنبعث الماضى الجميل من مرقده ولكن موعداً سابق التحديد يستحثنى إلى موافاة الرفاق فى « كاروج »

فقالت له : إذن تشاركنا الشاى والفطير عصر الأحد . سأصنع لك الكعك بيدى . وأعد لك صحناً من مربى البرتقال التى كنت به جد شغوف . أليس كذلك ؟ ولك أن تدعو من تشاء من أحبابك

فقال : طبعاً يكون ساشا حاضراً .

فقالت : هذا مالا شك فيه فانه يعيش معنا تحت سقف واحد .

قلت : يكفينى أنسكما وصحبته .

ثم نهض وانحنى وقبل أيديهما وصافحنى وحاول مداعبة الطفل فنفر منه نفوراً شديداً فضحك الرجل مدارياً خجله واستخذاءه وعجل بالانصراف .

فلما عدت وجدت الغلام (وكان اسمه بوريا تدليلا من اسمه الحقيقى بوريس) فقد عثرت عليه وحيداً كئيباً منطوياً على نفسه كأنه سلحفاة أدخلت رأسها وعنقها تحت درعها الصخرى ، فلما دنوت منه نظر إلىّ نظرة تنم عن الابتهاج والدهش بعد النجاة من الغول الذى عكر صفاءنا ، وكان شعره الذهبى يلمع فى ضوء المصباح ، وعاد محياه يتلألأ وضاءة ونضارة ، وثغره يتألق بنور الابتسام ، وعيناه تشرقان بنوع من الحنان جعل قلبى يخفق دهشاً واضطراباً .

وفى تلك اللحظة حضرت مدام بوبيه وهى خادم مجوز تؤجر بالساعة لتطهى الطعام وتعد المائدة ، دون أن تذوق من الألوان التى تتقن طبخها لقمة واحدة ، لشدة محاسبة المجوز فى كل صغيرة وكبيرة ؛ فكنت أعتذر عن العشاء أو الغداء أحياناً لأمكن الخادم المجوز (وهى فرنسية الأصل تقيم فى جنيف) من أكل الوجبة التى أتخلى عنها شفقة عليها . فاذا تحركت شفقتى وشهيتى فى وقت واحد نفحتها فرنكا تعد به طعاماً لنفسها فى غرفتها المظلمة فى حى « فويور » فلما تركته لحظة لأبدل ثيابى استعداداً للعشاء عاد إلى صمته وحزنه وكآبته . فلما رأته أمه على تلك الحال ذاب قلبها رحمة وشفقة فأخذت بيده ووضعت يدها الجميلة الثانية على رأسه وجعلت ترنو اليه بألحاظ كلها رأفة وحنان وتخاطبه بألفاظ كلها حلاوة ورقة وعذوبة .

فلما عدت من مخدعي أخذت بيد الطفل فانصرفت الأم لتعد أزهار المائدة ، وكانت تعلم حبي الشديد للخزامى ولكنها وضعت مكانها زهر البنفسج . وأخذت أتحدث إلى الغلام وهو يسألني وأجيب وأستدرجه في لين ولطف ، لأمحو من ذهنه أثر المشاهد الأليمة التي شهد بعض أدوارها فكانت تحوم في ذاكرة الغلام عهود غامضة وذكريات مبهمة ترجع إلى زمن أقدم من ذلك العهد ، فقد كان يتذكر أنه أقام في قطر آخر وأنه رأى مدينة ذات منازل شاهقة بيضاء وأنه ركب في سفينة ، غير أن هذه الأمور كانت كالخطوط الدارسة في صحيفة ذهنه . والواقع أنه لم يلبث إلا قليلا حتى لحقت بهذه المشاهد الغامضة ذكرى مدينة « كييف » أو على الأقل ذكرى كثير مما قاساه وكابده هنالك .

فلما انقضت وجبة العشاء وراحت الخادم المجوز تتعثر في أذيال شيخوختها وفقرها وضعفها وآوت الأم إلى غرفتها وهي تجتر الشر وتضرب أخماساً لأسداس ، أقبلت عليّ أوجستا في ثوب أسود وقد رسمت تحت أجفانها حلقات زرقاء فكسر منظرها من حدة غضبي وألانني بوادر الحزن التي ظهرت على وجهها وهي تقول :

— لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضيَ عليّ . إن حظي من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه الحياة منذ عرفتك ، وبوسعك أن تمد ما يحلو لك من انتقام تجاه هذه الجهود التي يبذلها الدهر المعاند وأمثال هذا الوغد المخبول الذي جنى على سعادتنا . فما حيلتي في هذا الخائل الذي انتصب فجأة على سبيل آمالنا فتعثرت به حتى توشك أن تتبدد وأنت تعلم أني لم أدخر وسعاً لتحقيق أمانينا

فقلت لها : أصحيح ما قاله ذلك الرجل وإن كان صحيحاً كله أو بعضه فلِمَ أوصدت سريرتك دوني ؟ وما الذي دعاك إلى كتمان أمرك ؟

فقالت : هل تشك في إخلاصي ؟

قلت : ولكن الماضي الذي لمح إليه إبليا إبليا نوفتش . فما عتم حتى ظهرت على أوجستا دلائل الشحوب فأمست صامتة تحنى دائماً رأسها . فأردت أن أشدد عزمها بتأكيدي لها أنها ستلقى السعادة وأنني سأقف حياتي على هنائها ، فلجأت إلى ذرف الدموع

وما كان قلبي وهو السادر في هواه ليخامره ريب في إخلاص أوجستا فاذا لاحت لي فكرة تستدعي لومها ردها هذا القلب متمرداً بعد أن رأى من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا أوجدتني تائهاً في وهاد أظلمت آفاقها وخفيت عني مخارجها

وما كانت هذه المرة الأولى التي حاول بها الناس بمثل هذه المكايد أن يفرقوا بيننا ... فجذبتها إليّ وقبلتها ، فملا وجهها الشحوب وأعرضت بعينيها عني تاركة شفتيها لشفتي ، ولم أشأ أن أسير في طريق الحب إلى أبعد من تلك القبلة ، ولم يجد النوم الى عيني سبيلاً في تلك الليلة ...

فتحرك كوتشامسكي الذي كنت أقص عليه هذه القصة وقال :

ألم تكن تعرف هذا الرجل الذي عذبك وعذب المرأتين ؟

قلت : قلت تقصد إلى إيليا إيليا نوفتش ؟

قال : طبعاً أقصد إلى هذا الشيطان

قلت : كلا

فقال كوتشامسكى : أما أنا فأعرفه فذاً من أفذاذ الخلق النادر والطبع الغريب فاسمه ملء الأسماع، وشهرته هذه لم تكن لعلو كعبه فى السياسة أو الثورة والأدب ، بل لغرابة أطواره وشذوذ عاداته فقد كان في أول أمره يتجنب الناس ما أمكنه الأمر، ويناى عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وكانت رغبته فى الانزواء ملحة قاهرة، وهو منذ وضع قدمه فى جنيف يأبى إلا أن يزورنا فى منازلنا ، ويأبى إلا أن يفدحنا بطلعته المشؤومة فى غرفنا كأنما لم يكن يكفيه طول ما ينكبنا بها أثناء اجتماعنا فى المطاعم والمقاهى لأنه كان يعتقد أن زيارة الزملاء وأبناء الوطن فى الغربة فرض لا مناص له من أدائه وواجب لا بد من القيام به

— نعم نعم لقد عرفت بعض ذلك من السيدتين قبل حدوث الفاجعة ولكن كانت الفرصة قد فرت

— الفاجعة ... أية فاجعة ؟

— الأفضل أن أتم حديثى . فقد كان بيننا وبين يوم الأحد الذى عينته الأم المجوز لدعوة الشاى ثلاثة أو أربعة أيام ففى غداة السادة والاعتذار تيقظت المجوز فيدور ا كيليانوفنا ممتعضة ، ممتقعة اللون متجهمة الأسارير . وعند ما وقع بصرها على أوجستا قالت لها كأن المسكينة كانت مسؤولة عن زيارته المشؤومة :

— ما له عندى حتى يأتى إلى منزلى ؟ قولى له بالله عليك إننى أكرهه ولا أريد أن أرى له فى بيتى وجهاً بعد اليوم

فقالت أوجستا : ولكنك دعوته إلى الشاى يوم الأحد هو ومن يحب

— من يحب ؟ أله من يحب هذا الكائن المشؤوم ؟ حسن ... بعد هذه المرة . لعلها تكون الأولى والأخيرة

أما أوجستا فلم تنم هى الأخرى . وكانت أمارات الاعياء والقلق بادية على محياها الشاحب بأجلى مظاهرها فقالت فى نفسى :

أيسعنى أن أتخلى عن أوجستا هذه الأفروديت الساحرة التى ملأت حياتى ولولاها لبقيت أيام شبابى فارغة ، لأن مأفوناً واشياً تماماً اعتدى على كرامة سيدتين لا حول لهما ولا طول ؟ وكان يجب على أن أخنقه أو أركله بقدمى وأقذف به خارج الدار

وفى اليوم الثانى كانت المجوز على أسوأ ما تكون خلقاً ومزاجاً فقالت عند ما رأتنى :

— ألا ما أردأ الناس وأخبثهم !

وراحت تحدثنى بدل ونفرعما تملكه فى مقاطعة بادولى (عاصمتها كييف) من مال منقول وعقار ، وعما تنتجه المزرعة فى (جريانيش) من خضار وبقول وحبوب وفاكهة ، وعما يحفل به بستانها الثرى من أشجار مثمرة وجنى شهى . وكل الذى حدث أن هذا الفزم الملتون الذى كان وجهه الصغير الشاحب شؤماً على رائيه أراد أن يتزوج من أوجستا . أتتصور ذلك ؟ أيمكنك أن تتخيله أو يرتسم شبحه فى وهمك ؟ وكيف يريد أن نبحث

فى أمر زواجه من ابنتنا وليس فينا جميعاً من يعتقد أن هذا القزم الجبان أهل للزواج ! وقد خيل إلينا للوهلة الأولى أن هذا المفتون هازل فيما يقول ، فاذا بنا نراه جادًّا كل الجد . على أن هذا لم يحل قط دون اعتبارنا كل قول فى هذا الصدد هراء فى هراء وكل بحث فيه من باب التندر كأكثر الأحاديث التى تتداولها الألسن

ويجب ألا أنسى أن أقول لك يا ولدي ساشا إن أوجستا استسمجت إيليا إيليانوفتش ، وكرهته للوهلة الأولى التى وقعت فيها عليه عيناها ، وكانت تأنف حتى من ذكر اسمه ، أو الجلوس معه على السفرة، وكثيراً ما كانت تقول لنا عند ما كان يذكر اسمه فى أحاديثنا عرَضاً : « أنا لا أفهم كيف تستطيعون أن تحتملوا هذا المأفون الواشى فيما بينكم باسم الصدقة أو الصداقة » وكان هذا السخيف لا يفتأ يقول : « لن أبقى معكم إلا ردحاً من الزمن يسيراً وأعتزل بعده الحياة وأعيش حرًّا طليقاً بعيداً عن المداجاة والرياء والتزلف » . فكنا نقابل هذا الوعيد السعيد بعاصفة من الضحك لأنه على الرغم من أن نقض العهود والنكث بالوعود والمخالفات على شتى أنواعها ، كانت تبليه باضطراب الخاطر وانحلال القوى ، فانه لم يف قط بوعد فراقنا والتحول عن دارنا

فقلت لها : وكيف صنعتم بمشروع الزواج ؟

قالت العجوز : أى زواج ؟ آه . تذكرت . دعوناه يوما إلى حضرة والدها فقال له :

— نحن نعلم يا إيليا إيليا نوفتش أن كل شخص سيتزوج يوما ما . ولكن أمر الزواج خطير بل أشد خطورة فتأنظن، وعلينا أن نفكر فى الواجبات المقبلة وفى التبعة التى ستلقى على عاتقنا كى لا نقع فيما نحاذره ونخشاه .

وبعد بضعة أيام وفى إيليا بوعده وغادر منزلنا غير مأسوف عليه .

* * *

فى يوم الأحد الموعود تزينت العجوز وتبرجت فوق عادتها . وتبدت أوجستا فى ثوبها الزاهر الأنيق ووجها الطافح بشراً وإيناسا فاتنة أخاذة . فلم أفهم لهذا التبدل سراً .

وجاء إيليا إيليا نوفتش وأخذ ينتف عثنونه بعد أن قبل يدى السيدتين وصافحنى وداعب الطفل بوريا الذى نفر منه النفور كله وكاد يفر من وجهه لولا تودده إليه وتلطف والدته .

وإن أنس لا أنس تلك الساعة الرهيبة ، فان أوجستا التى كنت أعلم أنها تبغض الرجل وتنفر منه وتتمنى هلاكه أقبلت على إيليا إيليا نوفتش تتحدث إليه وتزين عروة ثوبه البالى بزهرة يانعة ، وكانت تارة تضحك ويداها على خاصرتها ضحكات ساحرة فاتنة وطوراً تغنى بصوت رقيق عذب ، أغانى عاطفية جميلة مسكرة — وفى تلك اللحظة أخرجت العجوز من ثنايا صدرها ورقة صغيرة وأفرغت ما فيها من مسحوق أبيض فى فنجان إيليا بسرعة البرق وتناولت قطعة من السكر وأخذت تقلب بملعقة صغيرة، ثم مدت يدها المرتجفة إلى الرجل بفنجان الشاى، فأخذ يحتسيه ويلتهم الكعك والفطير والمربى

بنهمة الفجوع بنقمة الجوع والحرمان. فعجبت لاسانه كيف لزم غمده فلم يفه بعبارة سوى امتداح الماضي وإطرائه بعد أن كان يحمل عليه بالأمس حملة نكراء. وبعد ساعة شعر إيليا إيليا نوفتش بدوار وإعياء فاعتذر عن البقاء ورجاني أن أصحبه إلى غرفته.

فبادرت العجوز قائلة:

— لا عليك يا ولدي. إذا كنت تشعر بدوار فهلم إلى غرفتي فترقد حتى تستريح فان فراشي كاملا يخفى عليك من أنظف الفرش. فنهض الرجل متهالكا وقد استند إلى ذراع أوجستا التي تطوعت بمعونته فتبعتهما وأنا موزع بين الدهر والغيرة فسمعت إيليا يدمدم:

— لقد اسودت الدنيا في عيني واحلولكت مرائيها، ولم أعد أسمع ولم أعد أرى، وما بلغ الغرفة المغمورة بآراد القمر وأضوائه حتى خلع ثيابه وهرع إلى السرير ورقد فيه محرور الجسم منهوك القوى.. ولم يقم منه بعد ذاك

وفي الصباح استشرت العجوز في استقدام الطبيب فألحت عليّ في الاسراع باسعافه. فدعوت طبيباً روسياً مسنا كان يقطن على مقربة من البيت فلما عدناه وجدناه نائماً وراء كلته، منطى بلحاف العجوز حتى الرأس وطرح عليه الطبيب بعض الأسئلة فلم يكن ليرد إلا بلا أو بنعم، وكانت العجوز تروح وتجيء حيال السرير مكتئبة النفس محزونة الفؤاد. فقال الطبيب: حمى وافدة، داء الموسم. لا خوف عليه! ووصف له جرعة ورشاماً ونهاه عن الطعام

وكانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وقلما اغتمضت عيناه في لياليه السود لطوارق أوهامه ومروعات أحلامه، وبعد أسبوع ذاق خلاله هذا البائس المحزون من صنوف الألم وضروب العذاب ما صهر جسده الواهي وأذاب جسمه المنهوك، وقع المقدر ونفذ المحذور وأسلم صاحبنا الروح. ومن العجب العاجب أنه لم يسأل عنه أثناء مرضه أحد.

وسرنا جميعاً وراء نعشه في موكب مهيب. وإنني في غنى عن إخبارك بأن أوجستا كانت الوحيدة التي مشت في جنازته خاشعة مطرقة بكل ما في الخشوع والاطراق من معنى، وأنها ذرفت عندما واروا جثمانه الثرى بضع قطرات من دمعها السخين.

أما العجوز فقد عادت من دفنه وعلى وجهها أمائر الحزن، لا أسى عليه، بل لأنها كانت تأبى أن تظهر على وجهها دلائل السرور. وقد سمعتها تهمس كمن يحدث نفسه: إن موت رجل مثل ايليا ايليا نوفتش مسرة لقلوب من نكبوا بطلعته المشئومة إبان حياته...

محمد لطفي جمعة

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

—

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة «الرسالة»

الثمن ١٢ قرشاً

مشاهدة وجه العروس

لفيلسوف الهند وشاعرها "تاجور"
بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

كان كنتشندرا لا يزال فى عنفوان شبابه حينما فقد زوجه ، ولم تحدثه نفسه بالبحث عن عقيلة جديدة ، وانقطع لقنص الوحوش وصيد الطيور ، وكان عظيم القامة ممشوقها ، نشيطاً خفيف الحركة حاد البصر ماهراً فى الرماية

ارتدى يوماً ثياب الريف واصطحب هيراسنغ المصارع وشكتلال وخان صاحب الموسيقى وميان صاحب وكثيراً غيرهم

وفى شهر أجراها بانا ذهب كنتى إلى الصيد فى مستنقعات تيدبجى بصحبة نفر ممن يحسنون الرماية . ركب الصائدون وحاشيتهم وخدمهم الكثيرون المكلفون بملء أحواض الاستحمام سلسلة طويلة من القوارب . وقد قالت نساء القرية إنه لم تتمكن واحدة منهن من الاستحمام أو حمل الماء إلى دورهن طوال النهار لأن فرقعة البنادق عكرت صفو الأرض والأمواج ، كما أن الموسيقيين لم يستطيعوا النوم ليلة واحدة

وفى ذات صباح كان كنتى جالساً فى مركبه ينظف بندقيته المفضلة ، وعلى حين غفلة أصابته رعدة عند سماع صوت البط البرى الذى لم يسمعه قط ، فرفع عينيه ولمح فتاة قروية تقترب من الشاطئ ، وقد ضمت إلى صدرها بطتين صغيرتين ، وكان الغدير فى هذا الوقت جافاً تقريباً لأن الحشائش سدت مجراه ، ووضعت الفتاة بطتيها فى الماء وطفقت تنظر إليهما بنظر حائر ، ولم يكن اهتمامها بالصائدين أقل من اهتمامها ببطتيها وخوفها من أن تطيرا . كان لجمال هذه الفتاة القروية روعة غريبة كأنها نحتت فى معمل ويشفاكرما (وهو المثال الربانى فى المثيولوجيا الهندية) وكان الانسان لا يستطيع أن يقدر مقدار عمرها لأنها جمعت بين جسم المرأة ووجه الأطفال بشكل لم ير فى غيرها ، ويظهر أنها كانت تجهل أنها على عتبة الشباب

لبث كنتى لحظة دون حراك كالمسحور ، وما كان يتصور أن يجد مثل هذا الوجه فى مكان مثل هذا وقد زادها المنظر الطبيعى جمالا لن نبالغه فى القصور لأن الزهرة البديعة تفتننا وهى على شجيرتها أكثر مما لو كانت فى إناء من ذهب . وفى ذاك اليوم كان القصب مزهراً مخضل السنابل من ندى الخريف ، وكانت السنابل تتلألأ وهى مخضلة من قطر الندى تحت أشعة شمس الصباح وقد حف هذا المنظر وجه فتاتنا النضر الفتان حتى ظهر ساحراً لكنتى كأنه صورة أخاذة

وقد فات كاليدوس أن يغنى ملكة جبال سيڤا هابطة فى بعض الأحيان للجنج الشاب حاملة فوق صدرها بطتين صغيرتين

وحينما لمحت الفتاة كنتى ارتعدت رعبا وانقضت على بطتيها متهدة وغادرت الشاطىء ثم اختفت فى خميلة قصب هندى (بمبو)

وقد شاهد كنتى أحد رجاله يصوب بندقيته إلى البطتين فانقض عليه ونزع سلاحه ولطمه لطمة قوية . وقد انتهى المزاح على الشاطىء وعاد كنتى لينظف بندقيته

ولقد جره حب التطلع إلى خميلة القصب الهندي التي اختفت فيها الفتاة فر عليها وتعداها إلي أن قادته قدماه إلى فناء بيت ميسور الحال، ترى في اليمنة مخازن الغلال وفي اليسرة حظيرة نظيفة للبقر وفي طرفها خميلة من النبق. وكانت الفتاة التي يبحث عنها جالسة وسط هذه الخميلة والدمع ينحدر من مآقيها، وكانت تحاول أن تعتصر من طرف ثوبها البلل بعض قطرات في منقار بطة جريحة. وكان بجانبها سنور رمادي اللون متكيء برجليه الأماميتين على ركبتيها، وكان ينظر بنهم إلى الطير من وقت لآخر حينما يقترب القط منه فدفعه بلطمة على مخطمه كانذار منها.

وهذه الصورة الفتانة التي تظهر وسط النهار في جو هادىء من فناء مزرعة قد انطبعت في قلب كنتي. وكان اللعب المتبادل بين الضوء والظل يعكس صورا مرتعشة فوق ثوب الفتاة، وعلى كشب بقرة تجتر وتذود عنها الذباب بحركة بطيئة من رأسها أو من ذنبها بينما تهب ريح الشمال وتخلط صوتها الذي يشبه خرير الماء بحفيف أوراق القصب الهندي.

وكأن الفتاة التي حضرت في الفجر إلى شاطىء النهر ملكة الغابة وقد أظهرت الاهتمام بملكة البيت، وقد أحس كنتي بأنه أشبه بلص فوجيء وبداه مخضبتان بالدماء. وعلى حين غفلة سمع من البيت صوتا ينادي: صدحي (معناها بالعربية الرحيق الموجود في بعض الأزهار) فهبت الفتاة فجأة وأمسكت ببطتها ودخلت مهرولة. فأعجب كنتي بهذا الاسم الظريف

رجع كنتي إلى السفينة وأعطى بندقيته إلى رجاله ثم ذهب إلى باب الدار الأصلي فوجد برهميا في منتصف العمر بوجه وديع وذقن محلوقة جالسا فوق مقعد داخل البيت وهو يقرأ في كتاب صلوات. وقد لاحظ كنتي في ملامحه المحبوبة المفكرة الطيبة واللطف المشرقين على وجه الفتاة الغروية. ثم حياه كنتي وقال له: «أيسمح لي سيدي بقليل من الماء فاني شديد العطش؟» فقابله الرجل بكل لطف وترحاب وأجلسه على المقعد ثم عرج على المنزل وخرج وبيده صينية من النحاس وبها أصناف من الكعك وقدح كبير من البرنز وبه ماء.

وحينما أكل وشرب رجا منه البرهمي أن يعرفه بنفسه فعرفه باسمه واسم أبيه وعنوانه، ثم قال عند انصرافه: «إنني أكون مسرورا جدا إذا استطعت أن أؤدي خدمة لسيدي».

— إنني لا أسألك أية خدمة. أجاب نابان بارجي. «ولكن هما يشغلني الآن».

— وما هو؟

إن الأمر يتعلق بابنتي التي شبت (فتبسم كنتي حينما فكر في الوجه الصبياني الذي شاهده) ولم أجد لها إلى الآن بعلا كفوا؛ وإن حصلت على هذه الأمنية أكون قد أديت ديني أجمعه للعالم. إنني لا أعرف في هذه البلاد حزبا ملائما ولا أستطيع أن أترك وظيفتي لأذهب للبحث عن زوج مناسب.

— «إنك يا سيدي إن استطعت أن تزورني في سفينتي فاننا نستطيع أن نتكلم في شأن زواج ابنتك» ثم حياه كنتي ثانية وانصرف وقد كان بعض أتباعه الاستفسار عن هذه الأسرة فلم يجد إلا ثناء عاما على جمالها وفضائلها.

وفي الغد حينما حضر البرهمي لرد زيارة كنتي حياه أعظم تحية ثم طلب يد ابنته، فدهش البرهمي لهذه السعادة التي كان يحلم بها — لأن كنتي فضلا عن أنه من أسرة برهمية عريقة في النسب فانه يملك ثروة ضخمة — وظن الرجل أنه في حلم فأعاد القول كالآلة: «أتريد أن تتزوج ابنتي؟»

— إذا تنازلت بالقبول

— أتتكلم عن صدحي؟

— بكل تأكيد

— ألا ترغب قبل كل شيء أن تراها وتحادثها ؟

فتظاهر كنتي أنه لا يعرفها وقال بكل بساطة :

— سننتظر كشف الوجه في حفلة العرس ...

فأجابه الشيخ البرهمي بصوت متهدج من التأثر :

— إن ابنتي صدحي لهي في الحقيقة طيبة عارفة بشئون البيت ، وبما أنك قبلتها بكرم عظيم فهي لا تسبب لك يوماً ما ظل الأسف والتندم ! وهذه أماني أعرضها عليك وأنا أباركك

وقد حدد الزواج في (ماغ) وأظهر كنتي رغبته في هدم تأجيله . وقد استعاروا للحفلة بيت مازومدار المبني بالآجر ، وفي الوقت المناسب حضر الخاطب ممتطياً فيله في موكب عظيم من الموسيقيين والأتباع يحملون في أيديهم المشاعل ثم ابتدأت الحفلة

وحينما نزع العروسان القناع الأحمر القاني لاتمام شعائر كشف الوجه تفرس كنتي في وجه عروسه المستحيي الغاض الطرف ورأسها مكلل بتاج الزفاف وفوقه عجينة الصندل ولم يستطع أن يعرف القروية التي ما فتيء شكلها منطبعاً في ذهنه ، فتأثر وظن أن ضباباً كثيفاً حال دون تحقيق منظوره

وبعد انتهاء الحفلة اجتمعت النساء في غرفة العروس . . . ذهبت عجوز منهن قائلة لكنتي هيا اكشف قناع عروسك . ولما نزع قناعها وجدها غير التي كان يعهدها ، فتقهقر بسرعة وكاد يجن من الغضب والغيظ ، وظهر ضوء المصابيح أمام عينيه ضئيلاً وتصور أن الظلمات أغارت بظلها على وجه العروس ...

وثارت نفسه ضد حميه وظن أنه بدل العروس بأختها . ولكنه بعد التأمل والتفكير تذكر أنه لم ير أية واحدة منهما وأن الخطأ واقع عليه نفسه ، وفضل أن يخفي حماقته وأخذ مجلسه متظاهراً بالسكون والدعة . ولو استطاع أن يبلع السم لما تمكن من إبعاد طعمه . لم يتحمل فرح هذه الجموع ولهوهم ، وكان يتمنى أن يتمتع بهذا السرور هو وجميع العالم

لمح على حين غفلة أن زوجه اقشعرت وكظمت صرخة ، ثم شاهد أرنباً هارباً اصطدم برجل عروسه وظهرت وراءه الفتاة التي شاهدها في الشاطيء ، ثم أخذت أرنبها وطفقت تلاطفه بالمسح وهو فوق ذراعها وتتمتم له بتودد وعطف

صاح النساء قائلات : هاهي ذي البريئة . وأشرن إليها بترك الغرفة ، ولكنها لم يظهر عليها شيء وجلست بدون اهتمام أمام العروسين وظلت تطيل فيهما النظر بتطلع صبياني . ثم هبت خادم وأمسكت بذراعها لتبعدها عن هذه الغرفة فاعترض كنتي بشدة وصاح فيها : « دعيها وشأنها »

— « ما اسمك ؟ » فاهتزت الفتاة ذات اليمين وذات اليسار ولم تجب بكلمة . فأغرقت النساء في الضحك

عاد كنتي إلى سؤاله : « هل كبرت بطتاك ؟ »

فاستمرت الفتاة في عدم اهتمامها

ولما يئس كنتي من إجابتها سألها بكل لطف وعطف عن أخبار بطتها الجريحة فاشتدت القهقهة من الجميع وعدد ذلك نكتة مسلية

وانتهى الأمر بأن علم كنتي أن تلك الفتاة صماء بكماء ولا أنيس لها غير طيور القرية وحيواناتها . وكان من سبيل الاتفاق أن الفتاة ظهر عليها أن تلبي نداء من كانت تنادي صدحي .

تملك كنتي تأثر جديد وعرف أن الستار الذي أخفى عنه ضوء النهار قد انزاح فتنفس الصعداء كأنه تخلص من كابوس وفر من مصيبة .

ثم نظر ثانية إلى عروسه فعرف أخيراً حقيقة المشاهدة لوجه العروس ، وتسلطت الأشعة الصادرة من قلبه وأضواء المصابيح على وجه قرينته فتجلى جماله الوضاء وتحقق أن بركة نابان قد أثمرت وأتت بأعظم نتيجة .

محمد كامل صيحاج

يوماً واحداً فحسب

مترجمة عن التركية
بقلم الأديب عبد اللطيف خيمد

كان الوفاق التام سائداً بين « مرمد بك » وبين زوجه السيدة « ناهد » ؛ وكانت حياتهما صفواً كلها إذا استثنينا أمراً واحداً كان لا يروق السيد فى زوجه العزيزة طالما حدثته نفسه باعتراضها فيه وبحملها على الكف عنه ، ألا وهو الكذب !! إذ أن السيدة ناهد كانت ككثير من بنات جنسها لا ترى بدًّا من تجسيم الحقائق وتوشيتها كما يشاء خيالها، وإذا ما أنصفناها أمكننا القول بأنها لم تكن مغرقة فيه ، بل كانت طبيعتها تجنح بها إلى القليل منه ، ونعنى أن كذبها لم يكن منطوياً على مضرة ؛ أما زوجها فقد كان على العكس منها لا يرضى فى أمر من أموره أن يتخلله نصيب من هذا الخيال . فهو يسره جد السرور أن تسرد الوقائع وتذكر الأشياء كما هى ، ولكن هذا لم يكن ليحمله يوماً على تعنيف زوجه ، بل كان يكتفى — إذا ضاق به صدره — أن يقول لها :

— ناهد ، أرجو ألا تكذبى وأنت عالمة مقدار بغضى لهذه الطريقة الكريهة عندى

فتأخذ ناهد فى الدفاع عن نفسها حينئذ فى لهجة محتدمة ، غير أن الطبيعة الغلابة تسلك بها سبيل الكذب فتنظم أفانين منه مثبتة أنها ليست بكاذبة ، فيعجب زوجها ويجن جنونه صائحاً :

ها هو ذا !! ما زلت تكذبين . ومن العجب أنك تبرئين نفسك من الكذب باسترسالك فيه

— ماذا مما قلته كذب ؟ !

— هل نسيت يا عزيزتى أنك كنت قصصت على حادثة الخاتم الضائع قبل الآن بجردة عن هذا التزويق المسرحى ؟

وهنا تتخاذل ناهد قليلاً وتجاوب زوجها فى إخلاص :

— أقسم لك أن الحادثة كما قصصتها عليك ، وإن كنت حين سردتها مرة أخرى قد اختلفت شيئاً يسيراً فذاك مالا أرى منه بداً . وهل يستطاع سرد حادثة دون تحويرها ؟

— نعم يستطاع

— وهل يمكن التحدث بحديث دون أن يتخلله كذب مطلقاً ؟

— نعم يمكن

— لا يمكن

— إنه ممكن من غير شك

وكذلك يتجمع الخلاف بين هذين الزوجين ويدور الجدل حول هذا المحور وحده ، فينكر كل منهما على صاحبه رأيه كلما بدرت بادرة . وبينما هما فى نقاشهما — ذات يوم — اقترحت السيدة ناهد على زوجها المحتدم فى إثبات رأيه هذا الاقتراح :

— إنى أتعهد لك بأنى لن أكذب بعد اليوم ، ولكن وفائى بهذا العهد مرتبط بقبولك لما أشترطه عليك ، وذلك أن تأخذ على نفسك ألا تكذب يوماً واحداً مهما تكن الظروف

— أجل ، لك ما اشترطت

— على ألا تكذب فيه ولو اقتضته منك المجاملة وتطلبه الأدب ، وألحت به عليك الدواعى القاسرة

ترجمت هذه الأقصوصة عن الكاتب التركى ارجند أكرم

— لك ما شئت

— وألا تحاول تحوير الحديث ، ولا الطفرة من موضوع إلى ما لا علاقة به ، وألا تتنصل بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه

— ليكن لك ما أردت

— ولا تكذبن فى ذلك اليوم صادقاً لى فحسب بل للناس جميعاً ! !

— سأكون كذلك

— حسن جداً ، وإذن سأعرض أنا عن الكذب ! وأكبح نفسى عن الأخذ به مهما تكن الحال ، واقتضت الظروف . غير أنى أطلب منك أن تخولنى حق تعيين هذا اليوم وسيكون فى أسبوعنا هذا إن شاء الله !

أدت بسرمد بك عزمته أن يقبل كل اقتراحات زوجته غافلا عن تدبر منبتها وتبين حقيقتها ، وراح يقسم بضميره ويحلف بشرفه أن سيبر بوعده ويوفى بعهده ، غير أنه لم يمض يومان على أثر ذلك حتى نسى الرجل حديثه مع زوجه وفرغت ذاكرته من كل ما دار بينهما

غربت شمس يوم الثلاثاء وأقبل مساء اليوم التالى يحمل لسرمد بك ثمن غفلته ، ولم يكن المسكين يدرى أن اليوم الموعود هو يوم الأربعاء ذو التاريخ القديم .

فى مساء ذلك اليوم كان « نرمى بك » أحد أصدقائه الأقربين قد دعاه إلى طعام العشاء ؛ وكان نرمى بك تاجر تبغ قد أحب فتاة تدعى « شكوفة » تشتغل عنده فى محل تجارته على الآلة الكاتبة ، ولم يلبث حتى اتخذ لنفسه منها خليلة ، وما كان إلا أن نما الحب بينهما واشتد حتى أثمر رأياً جديداً فى نفس نرمى بك وهو أن يتخذ شكوفة زوجاً له

راقت له هذه الفكرة وأخذ الحب يزداد بين الحبيبين حتى زالت الكلفة وامحت دواعى التكلف وبانت نفس شكوفة وانكشفت عما كانت تنطوى عليه من نقص فى التربية وقلة فى الذوق ، وبدا منها ما يتنافى مع أصول العشرة ، وتضاءل أمامه رأيه فى الزواج بشكوفة ولم يعد فى نفسه شىء من ذلك .

وكان من جراء ما استقر عليه فكره أخيراً أن تجافيا ثم افترقا . انقضت أيام وقد ضرب الهجر بينهما حجابه وأخذ يثقل كاهل الفتاة حتى نأت به وضعفت عن احتماله بما أصابها من الضجر وذاقت من المرارة ، فرجعت إلى خليلها مستسلمة خاضعة غير مشترطة عليه شرطاً ولا متخذة عنده عهداً . وكانت هذه المصالحة سبباً فى إقامة المأدبة التى دعى اليها سرمد بك إذ كان على علم بتفاصيل روابطها . ولذا كان نرمى بك شديد الإلحاح فى دعوته لسرمد إذ قال له :

— أناشدك الله أن تجيء واذكر أن شكوفة تطلب حضورك حتما وقد أخبرتنى أنها ربما لاتحضر بمفردها .

— من سيكون هنالك إذاً ؟ ؟

— قد ذكرت أن لها صديقة بهية الطلعة رائعة الجمال ستجيء بها إن هى تمكنت من إقناعها . وكان سرمد بك قد استشعر غمزاً فى كلام صاحبه فلم يجد بداً من معارضته بقوله :

— ياعزيزى إنكما ستتحابان وتمرحان فى صفو هواكما ولا أحب فى وجودى معكما تمكيرا لهذا الصفو. فأجابه نرمين بك فى مزاح يشوبه بعض الجد :

— أرجو ألا تكلف نفسك مشقة المداورة وأن تعفيها من هذه المعالجة فان شكوفة قد حدثتنى بكل شيء وأنك — قبل الذى كان بيني وبينها — كنت تغازلها وتطير حولها كالفراش — ومن يدرى لعل الهوى قد جمح بك فى هذا المضمار أكثر مما علمت .

— لقد أشفقت أن يجمح بى الهوى فجمح بك الظن إلى حد القمة ، وكان الأولى أن تسمو بحديثك وظنك عن الاسفاف يانرمين .

— إن أقصى ما كان بينى وبينها أننى قبلتها وربت على خدها أوعبثت بشعرها . كان سرمد بك — بدواعى أعماله — يتأخر أحيانا عند العودة مساء إلى بيته ، وكانت زوجه قد ألفت منه هذه الحال منذ سنين فلا تجد نفسها فى حاجة إلى سؤاله عن السبب ، ولا يجد هو داعيا لتعليل تأخره ؛ غير أنه كان يكتفى باخبارها قبل هذا لئلا تنتظره فى طعام العشاء . وكذلك أخبرها قبل يوم الأربعاء بعزمه على التأخر قليلا فى مسائه . وفى صباح هذا اليوم على إثر شربه الشاى نهض ولبس ثيابه ، وما كاد يتناول عصاه وقبعته حتى وقفت له السيدة ناهد بالباب تقول :

— أريد منك اليوم أن تبر بوعدك الذى وعدتنى به .

فلم يفهم — لهذه المفاجأة — ماتريد، ولذا سألها :

— وما هو هذا الوعد ؟

— وعدك الذي قطعته على نفسك ألا تكذب قط في يوم قد خولتنى حق تعيينه

فأجابها وقد اعتراه شيء من الارتباك :

— أجل ، سأفعل

— ستتأخر الليلة قليلا . أليس كذلك ؟

— بلى

— هل ذلك لأن لك فى المكتب من الأعمال ما يشغلك ويحول بينك وبين المبادرة ؟

ابتلع ريقه ثم قال :

— لا ، بل لأن نرمين دعانى للعشاء

— هل ستتعشيان أنتما الاثنان فحسب ؟

ابتلع ريقه مرة أخرى وكأنه مقبل على مورد الموت الأحمر

— ستكون شكوفة أيضاً معنا

وكانت السيدة ناهد تعرف شيئاً من علاقة شكوفة بنرمين لأن زوجها كان أنبأها بخبرها ، إلا أنه غير لها الأمر وصور تلك العلاقة فى صورة مشروعة وأن نرمين يرغب فى الزواج من شكوفة . ثم لم يلبث أن أخبرها بعدول نرمين عن الزواج بها بعد أن شاهد فيها من الطيش والنزق ما جعله يزهد فيها ويرغب عنها

— وهل اصطلحا ؟

— نعم

وكان يحدق فى الباب عساه يصادف فيه فرجة يستطيع أن يتسلل منها .

— رويدك لا تستعجل . فان أسئلتى لم تنته هل شكوفة هذه كانت خطيبة لنرى ؟

— لا ...

— فاذا كانت له إذن ؟

وهنا ثارت ثائرة سرمد :

— إعلمى أنه ليس لنا أن نسبر أسرار الناس ولا سيما إذا كانت من هذا النوع الذى تغوصين فيه

— لا تنس أنك وعدتنى وعدَ وفىّ بأنك لا تكذب مهما تكن الظروف أو تقض المجاملة والأدب أو تلح عليك الدواعى ، وأنك إذا ما سئلت عن أمر لا تخفى ماتعلمه عنه ، وأنك لا تحاول تحوير الحديث أو الطفرة فيه أو الانتقال منه أو التنصل بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه . واذكر أنك أقسمت بضميرك وشرفك على الوفاء بكل هذا ، فأنت اليوم رهينة الوعد فلا حول لك ولا قوة .

وهنا شعر سرمد بك بعمق الهوة التى هبط إليها وأسقط فى يده فراعته نكبته ، وباعدت مابينه وبين اطمئنانه محنته .

— هلا قلت ماذا كانت له إذن ؟

— كانت خليلته !

— من ذا الذى أغراها حتى زلت قدمها ؟

— أف ! دعينى أذهب .

— إذا كان يرضيك أن تذهب وأنت مسلوب الضمير موسوم بعدم الشرف فاذهب ...

— حذار ياناهد ...

— ألم تكن لك بهذه البنت علاقة ؟

— كان هناك شىء قليل فى الأيام الخالية ! وبعد ما أخذ ثري يتحبب إليها كففت عنها ولم يعد الآن بينى وبينها علاقة ما .

— إلى أى مدى بلغت رابطتكما ؟

— أناشدك الله أن تكفى لأن ذلك يؤخرنى عن عملى .

— بربك قل الحق . هل أنت ترتبك لأنك قد تتأخر عن عملك ؟

— لا ، بل لأن أسئلتك تضجرنى !

— إذن ، قل لى وحدثني حتى تنتهى إلى أى مدى بلغت معها ؟

ثنى جيده وقد تعبت نفسه واستولى عليه الملل ولكنه استمسك وقال :

— كنت أعبث بشعرها وأعانقها وأقبلها ، هذا كل ما هنالك .

وكان حينئذ قد وضع قبعته على رأسه ومد يده إلى مزلاج الباب ولم يكد يجره حتى تبضت زوجه على معصمه ، وراحتاها تلتهبان كالنار وأظافرها المرهفة تكاد تخترق عروقه وهى تقول :

— لى سؤال أيضا . هل تجىء هنالك امرأة أخرى عدا شكوفة هذا المساء

— لا أعلم . ولكن على ما قيل لى ربما تجىء !

— ولمن تجىء هذه ؟

— لا علم لى بهذا . وربما كانت من أجلى ولكن أقسم لك أن ...

— لا أرى ضرورة لليمين إذ قد سبق وأقسمت . على أني مؤمنة بكل ما تقول لعلمي أنك رجل أخو ضمير وذو شرف !

— والآن من يعلم ماذا يساورك من الظنون ؟ إن هذه الأمور مع كونها عادية قد أحدثت فيك من الانفعال مالا أستطيع تكييفه ...

قاطعته زوجه قائلة :

— حسبك ! .. حسبك ! .. لقد بلغت غاية تستطيع معها أن تذهب !

خرج سرمد بك وكان مثله حينئذ كمثل من نجا من تنكيل محاكم الارهاب فى القرون الوسطى وقد وصل إلى الشارع وهو لا يدرى ماذا كان يريد أن يعمل ، ثم بدا له أن يركب الترام . ولم يكد يقف لانتظاره حتى تأبط ذراعه أحد أصدقائه القدماء يسأله :

— كيف أنت ياعزيزى سرمد ؟

— لست طيباً !!

— لا بأس عليك ؟ ! هل أنت مريض ؟؟

— لا ...

— إذن ، ماذا بك ؟

— تملكنى الهواجس

— وهل هذا من شئون الأسرة ؟

— نعم ، ولكن أرجوك ألا تسألنى سؤالا آخر وأن تتركنى أذهب لشأنى

— أستودعك الله

ترك صاحبه ، وصاحبه ينظر إليه من خلفه وقد تملكه العجب وهو يسائل نفسه :

— ما باله قد تغيرت أخلاقه وتنكرت حاله !! إنه قد أصبح وقحاً !! وأيما وقاحة !!

لم يكد سرمد بك ينزل من الترام حتى واجهه خاله المحرم ، وقد فاض قلب الشيخ شوقاً إلى ابن أخته فتلقاه بحنان عظيم وأخذ يسأله فى لهف :

— أهذا أنت يا سرمد ؟؟ كيف حالك يا بنى ؟ لماذا لم تجيئوا لزيارتنا ؟؟

— لا أعلم !! وها أنت ذا ترى أننا لم نجئ !!

— وهل هناك مايحول بينك وبين هذا يا بنى ؟

— لا

دهش الشيخ :

— أتقول لا ؟ كيف ؟! كأنه لم يستفزك الشوق إلى رؤية خالك أيضاً ؟؟

رفع سرمد حاجبه وهو يقول :

— لم يستفزنى الشوق !

بهت الرجل وقال « وهو يصرخ من فرط غضبه » :

— ياوقح . ياعديم الأدب . ألم تستح حين تقول هذا الكلام الرذل الثقيل مواجهاً به خالك الشيخ ؟

وكان الرجل آنئذ ينبش الأرض بعصاه وهو يبتعد غاضباً مرتعشاً

جرى سرمد فى طلب خاله وهو يحاول الاستغفار عما بدر منه بقوله :

— لاتؤاخذنى ياخالى ، لقد حملنى على ما رأيت أننى أقسمت ألا أقول إلا صدقا !

فوقع هذا الكلام من نفس الرجل موقع الحطب من النار وكان فى نظره على حد المثل القائل : «عذر أقبح من ذنب»

ولما لم يكد سرمد يتم اعتذاره حتى دار الرجل بنظره حوله وهو يشير إليه :

أنظروا إلي عديم الأدب. هذا مازال يؤكد لى وقاحته ويزعم أنه كان يصدق فى حديثه.. لانقرع بعد هذا اليوم بابى ولا أريد منك أن تحضر جنازتى

ومضى الشيخ لا يلوى على شئ

وصل سرمد إلى مكتبه وقد مسه نصب ناء باحتماله فأرهقه إرهاقاً ولم يكد يتنفس الصعداء حتى سمع دق التليفون

— ألو ... ألو ...

— سرمد بك ؟؟

— نعم . فمن أنت ؟؟

— أنا (ناجى) بحثت عنكم بضع مرات فلم أجدكم . اسمع ... لى عندكم رجاء خاص

— تفضل وقل

— هل لديكم خمسون جنيهاً ؟؟

— عندى

— وهل بكم حاجة إلى هـذا المبلغ مدة يومين أو ثلاثة أيام ؟

— لا

— شكراً . إننى سأعيده على أثر اليوم الثالث أظن أنك تقرضنى خمسين جنيهاً ؟ أليس كذلك ؟

— كلا ، أبداً !!

— لـماذا ؟ ! (وكان هذا الاستفهام بصوت يشبه الصراخ)

— إننى لست مطمئناً إلى أنك تعيد هذا المبلغ

أجابه صاحبه بصوت أشد من سابقه وقد غلبه الغضب وتملكه السخط :

— ياعزيزى ، إنك تستطيع ألا تقرضنى ولك ذلك ، ولكن ليس لك أن تعتدي على كرامتى وتهينني على غرار ما يفعل السفلة ومن لاخلاق لهم

— معذرة . إننى أخذت اليوم على نفسى ألا أكذب فلذلك ...

أقفل التليفون وبعد قليل دخل الكاتب على سرمد بك فى حجرته قائلا :

— جاء المتعهد ياسيدى البك فهل تأذن لى أن أماطله ؟

— كيف ؟

— أقول له إنكم ذهبتم إلى أنقرة .

— لا يجوز اليوم أن تكذب .

— إذن يجب أن يعطى مبلغه المطلوب فى حين أنا لم نملك منه شيئا

— قل له ليس عندنا اليوم من النقد ما نستطيع معه تسديد ما علينا .

— مهلا ياسيدى البك ، ماذا تقول ؟ إن هذا يرج مركزنا رجا ويحدث فى السوق المالى تأثيرا سيئا

— ما الحيلة إذن ؟ إننا لا نستطيع اليوم أن نكذب

لم يكد الكاتب يخطو للخروج وهو يفكر فيما أصاب البك اليوم حتى ناداه من ورائه ثم قال له :

— إستمع إلى ... إن أعصابى اليوم متوترة جدا ولهذا أرانى شديد الحاجة إلى تهدئة النفس وتسكينها . فمن جاء يسأل عنى فقل له : إنى لست هنا .

— أمرك يا بك ! ...

— انتظر لا يناسب أن نقول ليس هنا خوف أن أكون كاذبا ، قل له إنه لا يقابل أحداً

ولكنه استشعر خشونة هذا القول لأنه ليس من اللائق أن يجيب زائره بهذا الجواب ، فسأل الكاتب وقد ملكه الاضطراب واستولى عليه اليأس:

— ماذا يجب عمله الآن ؟ إن . . . جزاها الله شر الجزاء

ألقى الأوراق التى بيديه على الأرض وهو خارج وقد خطف بإحداها قبعته وبالأخرى عصاه ، ولم يلبث أن طفر من الغرفة إلى الخارج

كان المساء ، وإذا مر مدبك يتمتم بصوت خافت مضمضع وهو جاث على ركبتيه مطرق الرأس أمام زوجه يقول :

— أى زوجتى العزيزة ، لقد بان لى بجلاء لايقبل الشك أن الحق كان بجانبك وأنه يتعذر كل التعذر بل يستحيل على الانسان أن يتم أمراً خطيراً كان أو حقيراً دون أن يشوبه الكذب . لا الصداقة ، ولا مصالح الأسرة ، حتى ولا العشرة ولا التجارة ، يمكن الانسان أن ينجح فيها دون أن يفتقر إلى الكذب ! !

هأنذا أعدك ألا أعترض عليك فيما أنت منه بسبيل ، وأسألك أن تصفحى عنى ، ومع ما تعلمين مما طبعت عليه من حب الصدق فلك منى أن تضعى عن نفسك ذلك القيد وتكذبى ماشئت أن تكذبى !

عبد اللطيف أحمد

مؤلفات
الأستاذ محمد كامل حجاج

ص

٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)

١٨ نباتات الزينة العشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

المنفى

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

لن أذكر اسم المكان ، ولن أذكر اسم بطل القصة . أما الأول فهو بعيد جداً فى جهة خصبة حارة على شاطئ البحر . وقد كنا نسير بقرب ذلك الشاطئ فنرى عن يميننا مزارع القمح الخضراء وعن يسارنا أمواج البحر التى تهتز تحت أشعة الشمس . وكانت الأزاهير الغضة نابتة على حافة البحر مطلة على مائه . وكان اليوم شديد الحر ولكن جوه زكى العرف قد تشبع بروائح التربة الخصبة والأعشاب والأزاهير والماء ، فكأننا كنا نستنشق مع الهواء عبير الحياة العطر

وقيل لنا إننا سنكون فى المساء ضيوفاً على رجل فرنسى يقيم فى وسط بستان البرتقال . ولم أكن أعرف هذا الرجل ولا أعرف عنه سوى أنه جاء إلى هذه الجهة منذ عشرة أعوام فاشترى أرضاً واسعة جعل بعضها كرمة وبعضها مزرعة برتقال وسائرها خصصه لزراعة القمح . وأقام من ذلك العهد فى أرضه يعمل كادحاً مجداً . وكان يزيد نطاق أرضه اتساعاً كلما مر شهر أو عام فحصل على ثروة واسعة بهمة لا تعرف الفتور

وكان جيرانه يقولون : إنه يستيقظ قبل الفجر ويظل يعمل فى حقوله إلى هزيع من الليل وجعل نصب عينيه فكرة واحدة لا يمكن إرواء ظمئها ، وهى فكرة الحصول على الثروة

وكانت الشمس قد غربت عند ما وصلنا إلى منزله فى حديقة البرتقال . ولما دخلنا المنزل المطلة شرفاته على البحر خرج لاستقبالنا رجل طويل القامة طويل اللحية . وبعد أن سلمت عليه طلبت أن يقبل ضيافتى ، فمد إلى يده وقال وهو يبتسم : « تفضل أيها السيد أنت هنا فى منزلك »

ثم قادنى إلى غرفة خصصها لى . ووضع تحت تصرفى خادماً . ورأيت من كرمه ما دلنى على حسن تربيته . وقال وهو يتركنى : « إننا سنتناول العشاء فى الطابق الأرضى بعد أن تستريح وتغير ثيابك »

وتعشينا فى غرفة تطل على البحر . وتكلمت عن هذه الجهة الجميلة النائية الغنية . فقال لى : « نعم هى جميلة غنية . ولكن لا يمكن أن يسر الانسان فى بلاد مهما كان جمالها وغناها ما دامت بعيدة عن وطنه الذى يحبه »

قلت : « أأنت آسف على مغادرتك فرنسا ؟ »

فقال : « إننى آسف على مغادرتى باريس »

قلت : « إذن فلماذا لا تعود ؟ »

فقال : « إننى سأعود »

ثم أخذنا نتحدث عن باريس وعن شوارعها الواسعة الطويلة . وكان كلامه عنها كلام من يعرفها حق المعرفة . وذكر لى عدة أسماء لا ينساها من زار الأحياء التى فيها مسارح الفودفيل فى باريس

قال : « من الذين يقابلهم الانسان فى تورتينى الآن ؟ »

فقلت : « هم الذين كانوا فيها دائماً عدا من مات منهم »

قلت ذلك ثم سكت فجأة لأنى نظرت إليه نظرة بعثت فى نفسى ذكرى . وأدركت أننى كنت رأيته ولكن متى وأين ؟

وكان يبدو عليه التعب والحزن على الرغم من

علائم القوة وصلابة العزم . وكانت لحيته الطويلة متدلية إلى صدره . وكان يمسكها بيده أحياناً أثناء الكلام . وهو خفيف شعر الرأس غليظ الحاجبين كبير الشاربين وفي خديه بقع مملوءة بالشعر ملحقة بلحيته

وكانت الشمس تغرب فيما وراء البحر الذى تطل عليه مرسلة شعاعها الذهبي إلى الشاطئ . وكان البرتقال الذهبي يبعث رائحة قوية جداً فى جو هذا المساء

كان مضيفى لا ينظر إلا نحوى . وكان ينظر إلىّ محدداً فىّ بصره . ثم وقع نظرى ونظره على صورة معلقة فى الحائط تمثل جهة فى شارع دروت فسألنى : « هل تعرف هذا الشارع ؟ »

قلت : نعم . فسألنى : « هل تعرف بوتريل ؟ »

قلت : « أعرفه حق المعرفة »

فقال : « هل تغير كثيراً ؟ »

قلت : « لا . بل لا يزال كما هو »

فقال : « وهل تعرف لاريداى ؟ »

قلت : « وهذا أيضاً لم يزل كما كان »

فقال : « والنساء ؟ هل تعرفهن ؟ قل لى شيئاً عن سوزان فرنر »

قلت : « إنها لا تزال كما كانت فى شرخ الشباب »

فقال : « وصوفيا أستير ؟ »

قلت : « ماتت »

فقال : « مسكينة أستير .. هل .. هل تعرف .. »

ولكنه سكت فجأة وتغير لون وجهه وقال بصوت غير صوته الأول : « كان خيراً ألا أتكلم إنها ذكريات مؤلمة »

ثم وقف وكأنه يريد أن يغير اتجاه أفكاره فسألنى هل أحب أن أزور بقية المنزل ؟

ثم سار فتبعته

وكانت غرف المنزل واسعة ولكنها تكاد تكون خالية من الأثاث وشكلها يدل على أنها لم تستعمل قط . وكان فى إحدى هذه الغرف أوان وزجاجات خالية متروكة على الأرض . وقد علقت على الحائط بندقيتان وقصبة لصيد السمك ، وبعض الفؤوس

وقد قال صاحب المنزل وهو يريني هذه الأشياء المبعثرة : « أليس هذا المنزل أشبه بسجون المنفيين منه بالمساكن ؟ »

وكنت أتخيل لو لم يقل ذلك أننى فى بعض الحوانيت التى تباع بها السلع المستعملة . وكان مما رأيته بين هذه السلع دبوس شعر مما تستعمله السيدات لتثبيت القبعات فوقفت أمامه وقد بدت علىّ علائم الاستغراب ، فوضع مضيفى يده على كتفى وقال : « إن هذا الدبوس هو الشيء الوحيد الذى أحرص عليه فى هذا المنزل — لا بل إن حرصى عليه يزيد عن حرصى على حياتى »

ففكرت لكى أجد كلمة مناسبة أقولها فلم تسعفنى الذاكرة إلا بقولى : « أظنك عانيت فى الحياة كثيراً بسبب امرأة » فقال : « إننى أعانى مالم يعانه أتعس إنسان . وإننى سأسألك عن اسم آخر ولكن إذا قلت لى إن صاحبته قد ماتت كما قلت لما سألتك عن استير فانى سأقضى على حياتى فى هذا اليوم »

ومشى فمشيت معه إلى غرفة أخرى وكانت الشمس قد غابت . ونظر إلىّ وقال : « هل جان دى لامور لا تزال على قيد الحياة ؟ »

قلت : « نعم والله » فقال : « وهل تعرفها ؟ »

قلت : « نعم » فتردد لحظة ثم قال بلسان متلعثم : « هل معرفتك إياها إلى درجة تسقط التكلف ؟ »

قلت : « لا » فقال : « حدثنى عنها »

قلت : « ولكن ليس عندى ما يستحق التحدث

به سوى أنها من أجمل الباريسيات وأشهرهن فى الأوساط وهي تعيش كما تعيش الأميرات ، وهذا كل ما أعرفه عنها »

فقال : « هذه هى التى أحبها . وقد حاولت قتلها خمس مرات أو أكثر من هذا العدد . وحاولت هى فقأ عيني بهذا الدبوس الذى رأيته الآن . أنظر إلى أثر الالتحام الذى تحت عيني اليسرى . إنه من أثر هذا الدبوس . وكان كلانا يحب الآخر ، وقد لا تكون على استعداد لفهم ذلك ، فان الحب الشائع بين الناس حب بسيط . ولكن الحب القوى لا يخلو من العنف . والمحبون من هذا النوع يعبد أحدهما الآخر ولكنه يتوق إلى قتله .

« وقد أهلكتنى هذه الفتاة فى ثلاثة أعوام أضعت فى خلالها أربعة ملايين من الفرنكات ثمناً لابتسامات حلوة ونظرات فتانة . وقد وجدت فيها شيئاً لا يقبل المقاومة ، ولكن ما هو هذا الشيء ؟ لست أدرى هل هو قوة عينيها ؟ هل هو عذوبة ابتسامتها ؟ هل هو صوتها ؟ لقد عشت ثلاثة أعوام عانيت فيها من الآلام ما لم يعانه إنسان . وكانت تخدعنى وتخونني لا لشيء سوى الرغبة فى خيانتى وخداعى ، فلما استكشفت ذلك وخاطبتها قالت لى : « هل نحن متزوجان ؟ »

ولما تركتها وجئت إلى هنا استطعت أن أفهمها أكثر من قبل فهى لا تستطيع أن تعيش دون أن تخدع »

قال ذلك ثم سكت بضع دقائق استمر بعدها يقول : « فلما أنفقت عليها آخر درهم قالت لى : « أنت ترى يا عزيزى أننى أحبك أكثر مما أحب أى إنسان آخر ، ولكننى أريد أن أعيش ولا أستطيع الحياة مع الفقر . ولذلك لا أرى بداً من أن نفترق »

ولقد وجدت من نفسى عندما سمعت ذلك دافعاً آخر إلى تقبيلها فمددت يدىّ إليها لأعانقها وأخنقها في نفس الحين . وقد كان في عينيها غير الجمال قوة أخرى قاسية . ولعل هذا هو السبب الأكبر لحبي إياها وكان فى نعومتها زيادة لا تبعث فى النفس عاطفة غير الجنون

« ولقد سكرت وانتشيت وجننت بحبها وبعثها . ولما كنت أمشي معها فى الطريق كانت تنظر إلى كل رجل تمرُّ به نظرة كأنها بها تسلم نفسها إليه ؛ وكنت أشعر وأنا أسايرها أنها من متعلقات كل إنسان ، وأنها خلقت كذلك رغم أنفها ورغم أنفى ورغم أنوف الناس جميعاً

« أتفهم يا عزيزى معنى ذلك ؟

« تستطيع إذا فهمته أن تتصور أى عذاب كنت أعانيه ؟

« لقد كنت أذهب معها إلى المسرح أو إلى المطعم فأحس بأن نظرات الناس إليها عناق وتقبيل ؛ وكنت أعتقد أنى إذا غبت عنها جاء الناس جميعاً ليجلسوا إليها . ولقد مرّت عشرة أعوام لم أرها فيها ولكن حبي لها لا يزال كما كان »

وكان الظلام قد اشتد فى هذا الوقت وزاد تصاعد الروائح العطرة من حديقة البرتقال وسألته :

« وهل تريد أن تراها مرة أخرى ؟ »

فقال : « إننى أملك الآن ما يربو على الثمانمائة ألف فرنك . فعندما تصل ثروتى إلى مليون فانى سأبيع كل شيء وأعود إلى باريس ويكفينى من العمر بعد ذلك عام واحد أقضيه معها فى أحلام رائعة كأحلامى السابقة

قلت : « ثم ماذا ؟ » فقال : « ثم أودع الحياة مسروراً أو أطلب إليها أن تستخدمنى سائقاً لسيارتها ! »

عبد اللطيف النشار

... ثم جاء الربيـــع

للكاتب الانجليزى دورونى بيلك
ترجمة الأستاذ فؤاد الطوخى

كان زواج مستر پوينت من هلدا موضوع حديث القوم . ولقد تضاربت الأقوال فى هذا الشأن لأن رجلا فى مثل ثروته ومقامه كان يستطيع أن يتزوج بأحسن منها ، لأن هلدا لم تكن إلا موسيقية فى إحدى الفرق . وصحيح أنها كانت جميلة ولكن جمالها لا يكفى .. أما هى فإنها كانت قانعة بهذا القران لأنه أنقذها من عملها الشاق المضنى القليل الأجر ولقد نقلها إلى قصره الفخم الذى يشرف على غابة من شجر الصفصاف ... وكان بعض العمال قد اعتادوا أن يتخذوا فى نهايتها ملجأ يأوون إليه فى الربيع

على أن مستر پوينت لم ينس أن رجلا موسيقياً غريباً ذا شعر طويل لبث ثلاث ليال متتالية يجلس فى الصف الأول بالمسرح ويحدجها بنظرات حادة ، وكانت صغيرة السن تميل إلى كل جميل كالملابس البديعة والأرائك الحريرية والروائح العطرية فأتاها مستر پوينت كنعمة من السماء ، وأنقذها الله من العمل فى المطبخ بالمنازل الريفية القديمة ، حيث كانت تطهى طعامها بيديها — وطالما كانت تتزع إلى الحب

ونظراً لصغر سنها فقد ظنت الحب سهلا ، وتوهمت كعادة الشابات أن الحب ... ما هو إلا كامن ياتى بكلمات سحرية فوق رأسها

وكان من عادة الفرقة الموسيقية أن تأتى فى فصل الربيع بعد أن تجرى حركة ملاء وتجديد واستعداد فى المسرح

وكانت زهرة المانوليا تزين حدائق القلات فى ذلك الفصل

واشترك مستر پوينت فى الحفلات اشتراكا اعتاده لأنه كان يناصر الفن مع أنه لا يتذوق الموسيقى

وكان من الجائز عنده أن يستغرق فى النوم وهو فى قاعة الموسيقى كما ينام فى أي مكان آخر ولكن منظر هلدا الرائع جعله يتنبه إلى موسيقاها .. كان شعرها ناعماً كالحرير الأسود ، وجلدها يحاكى زهرة المانوليا

وهناك كان يجلس فى الصف الأول ذلك الرجل الموسيقى وهو يكاد يلتهمها بعينيه التهاما فلمح ذلك مستر پوينت ودبت فى نفسه عقارب الغيرة ، وهو الذى اعتاد أن يحصل على كل ما يريد بنقوده الكثيرة فتزوجها فى الكنيسة الانجليزية للقديس سنت بارثلميو فى يوم عاصف ... ورحلت الفرقة الموسيقية تنغصها هلدا ، ولكن ماذا جرى لذلك الموسيقى الذى اعتاد أن يجلس فى الصف الأول ؟؟

كان مستر پوينت يجهل ذلك ، ومن المدهش أن هلدا لم تكن تشعر به ، فضلا عن أنها كانت ساذجة لا تعرف المكر ولا تثق بمواهبها الخاصة فى حين قد نالت كل ما كانت تحلم به من مجد وفخار ، فقد غص القصر بألوان الترف والنعيم ... ففوق منضدة ملابسها كان لها تلك القضبان الخزفية التى كثيراً ما رأتها فى نومها الهادئ وأحلامها الجميلة .. ولما أخبرها بقيمتها الغالية — وكان حريصاً على القول بأن كل شيء عنده لا قيمة له — توقفت

أنفاسها وأمست قلقة ، فقالت له :

— وماذا تقول إذا تحطمت ؟

فهز رأسه وقال :

— يمكن أن تعوض

وكان بوينت يعتقد أنه لا شيء في الدنيا لا يمكن تعويضه ، ولا حزن لا يغسله الشراب رقم (٨٧) . ووجهة نظره هذه يصعب على هلدا أن تفهمها لأن الفنانين لا يقدرون الحياة على هذا الوجه . وظهر في الجو شيء جديد فقد كان مستر بوينت يتحدث عن الحركات والنغمات في حين لم يكن يدري شيئاً عن الموسيقى ، ولم يكن في وسعه أن يترنم حتى بأنشودة الملك . جلس على أحد المقاعد وقال لزوجته :

— أسمعيني ياعزيزتي !!

فامتلأت الحجرة بنغمات الموسيقى

— ظريف وجميل جداً ... ولكن أتعرفين أنشودة فيها نغم ؟؟

فوقعت له أخرى

— إنه صوت شجي ما أحلاه ياهلدا . وضرب بقدمه ضربة قوية

وفي المساء غنت له وكان صوت الكمان يزداد عذوبة ورقة ، فنهض مستر بوينت وقال :

— حقا ... إنني لفي شوق لسماع هذا اللحن أسمعيني ثانية ياعزيزتي هلدا .. عزفك جميل حقا

وما لبثت أن أجهشت بالبكاء ، ثم طوحت بالكمان بكل قواها في أحد أركان الحجرة ، أما هو فلم يكن يعرف لذلك سببا .. وكثيرا ما خطر له أنها عرضة للنوبات العصبية ، إذ أنه قد أمدها بكل ما تشتهي نفسها في هذا العالم ، وما كانت الحسارة مقصورة على تحطيم آلاتها الموسيقية ، ولكنها عند ما ألقيت هشمت في طريقها تمثالا لاله الحب ؛ وكان فخما مصنوعا من الخزف ، وقد اشتراه مستر بوينت بثمن غال . التقط حطام التمثال والكمان وقال :

— يمكن تعويضهما

ولما رحل إلى ڤينا لقضاء بعض أعماله اشترى لها كمانا آخر بثمن بخس ، ليحل محل كمانها المحطم ؛ فشكرته ووضعت الكمان في ركن من أركان حجرة نومها . وعلى أثر ذلك .. تمنى عليها أن تسمعه لحنا ، فنظرت إليه بحمق ثم هزت رأسها باحتقار وسكتت

— لقد ماتت الموسيقى ياپوينت ! وعجيب أنك تخاطبني كأن لك إلماماً بالعزف

كانت هلدا قبل زواجها قد تجولت مع فرقتها الموسيقية هنا وهناك واكتسبت شعورا وذوقا خاصا . . . أما اليوم وهي منعمة في القصر بالفراش الوثير والطعام الفاخر وشراب الخمر (٨٧) الجيد فقد أصبحت خشنه . . . ولم يتسع الجمال لمستر بوينت لمبادلتها الشعور ، لأنه لم يكن بينهما انسجام . وكثيرا ما كان يرحل إلى لندن أو باريس أو ڤينا لمباشرة أعماله ، فيغيب عنها أياما

وكثيرا ما أقيمت في هذا القصر ولائم فاخرة فلم يغن ذلك عن كآبتها شيئا

وذات يوم رحل بوينت وبصحبته خادمه وحقائبه في سيارته . فسلكت هلدا مسلكا جديدا ، وبدأت تعيش عيشة أخرى .. أغلقت القصر ورفعت ستائره وأبسطته وطردت جميع الخدم ما عدا مارية وصيفتها الخاصة التي كانت تشاطرها الحزن والأسى . فقد مرت بتجربة قاسية ؛ إذ أحبت بحارا واقترنت به ثم ضرب الدهر بينهما بضربانه ، فأمست لا تعلم من أمره شيئا . واتخذت من حجرة نومها حجرة للجلوس ، ووضعت على إحدى الموائد موقدا للبترول لتهيء الطعام بيديها . كما كانت تفعل

في أيامها السالفة . ومن العجب أنها لم تقترن بمستر بوينت إلا لتتخلص من تلك الحياة التي بدأت تمحن إليها ، وما أحزنها إلا جهله بالموسيقى فأفضى ذلك إلى شعورها بالجمود نحوه .. وكثيرا ما كانت تقول في نفسها ... لقد أشرق ضوء في ظلال حياتي ولكني أطفأته .

ومرت أيام وأيام ومستر بوينت يزداد غنى وثراء. وحل الربيع مرة أخرى وظهر في المسرح عمال بدأوا يشتغلون في تنظيفه وطلائه وترتيبه وإصلاح أدوات الحمام . وشخص مستر بوينت إلى باريس في بعض أعماله .

ثم عاد الصفاح مع قافلته يحتل مكانه المعهود في الغابة بين أشجار الصفصاف ، وفي كل عام كان يأتي عند ما تتفتح الزهور وكان يصطحب في كل مرة كانا، ولم تكن هذا قد رأته من قبل وإنما كانت تطل من النافذة من وقت لآخر على قافلته ، فيروقها ألوان ملابسهم الزاهية الجميلة . وكان وقتئذ مرابطا في الطرف النهائي من الغابة .. ولحرارة الجو انتحى ناحية الغدير . وكان يوما مشمسا أزاحت فيه مارية الستار عن نافذة سيدتها وأطلت على مقدمة القافلة فأبصرت نارا تحترق ، ودخانا ينعقد في الجو فيكسب زرقته سوادا . قالت : إنها لوقاحة متناهية ، وهمت باستدعاء مدير الضيعة لولا أنها تذكرت أنه رحل إلى سنت بريك ليشيع جنازة أمه واندفعت هذا نحوها وقالت :

— دعيه إنه لا يؤذي أحدا

— ولكن إذا هبت الريح اندفع الدخان رأسا إلى نافذة سيدتي

— ولكن دخان الخشب لن يقتلني

— ربما كان بحارا، وثق ياسيدتي أن أي امرأة في العالم لم تسلم من أذى أولئك البحارة

ثم نظرت مارية في المرآة فرأت جمالها السريع الذبول ووجهها الشاحب وقالت :

— أخشى أن نكون في خطر ولو من أولئك البحارة

ولم تكن هذا تهتم بأمر القافلة من قبل ولكنها أعارتها بعض الالتفات في هذا الربيع . وذهبت يوما إلى غابة الصفصاف داخل الأحراش . وكانت القافلة مرابطة فوق بساط من الزهر البنفسجي اللون بين ثنايا الأشجار . وانساب بجوارها جدول من الماء . واسترسلت على النافذة سجوف قشيبة . وتطلعت هذا إلى حجرة الصفاح فلم تجد فيها شائبة ، وقد كسا الفراش الممدود في بعض الجوانب لون قرمزي بديع فأدهشها أن يكون ساكنها صفاحا بسيطا . وحارت في أمر ذلك الرجل وماذا عسى أن يكون ولماذا لم يزر تلك البقاع إلا في فصل الربيع .

وأرسل مستر بوينت برقية في يوم الثلاثاء قال فيها إنه سيتخلف في باريس أسبوعا نظرا لسوء حالة الجو.

وقد صدق بوينت فيما قاله عن الجو فقد زمجرت عاصفة في منتصف الليل فأخلت ببعض أجزاء المسرح وشتتت أدوات الحمام فكسرت وارتمت على الأرض كدمى الأطفال ... ونجا اللنش بأعجوبة من الزوبعة ، أما الصليب المثبت على قمة الكنيسة فقد سقط متحطما على الأرض، ولم يصب القصر من الضرر إلا بقليل، وقد قصمت الأشجار الباسقة في الحديقة كأنها كانت تتعارك مع الجن ، وكسرت النافورة المرمرية التي جاء بها مستر بوينت من فينا إلى ثلاث قطع ، وقد نكب الإله فينس الذي كان جالسا على عرشه في قمة النافورة بهزة ألقته على الأرض صريعا، فرقد يندب حظه العاثر وهو لا يصدق ما قد حدث . أما هذا فكانت موقنة بأن كل ما سيصنعه زوجها بمجرد اطلاعه على تلك الخسائر هو أنه يقول:

— يمكن تعويضها

وتصدع سقف الغرفة على أثر ظهور ثقب فى قناة، فبدت أولا صغيرة ثم اتسعت حتى صارت بحجم عجلة السيارة ، فصاحت مارية ، وأخذت تضع تحت هذه الفتحة ما تجمع عندها من أوان :

— يا لله ! ! أيحدث هذا ومدير الضيعة غائباً فى مأتم والدته

سيدتى ... ماذا نصنع بهذا الشلال الفظيع ونحن امرأتان وحيدتان ، وهرعت إلى النافذة لتصب إحدى الأواني الممتلئة بالماء ، ورأت العمال لا يزالون فى مكانهم

— انظرى يا سيدتى إنى سأحضره ، فهو على الأقل رجل ويستطيع الصعود إلى السقف ، أما أنا فلا أستطيع لضخامتى الدخول من الباب الصغير المؤدى إليه وإذا صعدت أنت فان سيدى لن يغفر لى هذا الذنب ... فخرجت تاركة وراءها تعليمات هذا الخاصة بوضع الأوانى تحت هذا الشلال ، وبعد أن رفعت هذا الاناء الرابع وقد فاض بالماء لتاق به من النافذة ... إذا بمارية قد عادت ومعها الصفاح وكان مديد القامة ، يرتدى سروالا من الفانلا وسترة موثوقة المرى حتى عنقه . فلما رأته علمت لأول وهلة أنه لم يكن من طبقة البحارة. وذكرت بمايشبه الحلم أنها قد تعرفه وربما تكون قد صادفته فى بعض أنحاء المدينة من غير أن تعلم شخصيته

وفى تلك الأثناء كانت مارية تطالعه بالحالة وهى بجانبه تشرح له الصدع بكل اهتمام ولو أنه لم يكن سباكا إلا أنه قال :

— أظن أن الصدع هو نتيجة ثقب فى البالوعة وأن فى وسعه إصلاحه لو سمحت له السيدة بالصعود

ثم صعد فوجد قطعاً من الأغصان وبعض الأخشاب المتناثرة التى ساقتها الريح إليه فتناولها وأصلح بها الصدع ، فلما هبط قالت له هلدا :

— أشكرك ألف مرة على ما فعلت .. وأمرت له بزجاجة من السدر . وكانت قد جهزت فى يدها بعض النقود لتعطيها له، ولكنها توقفت خشية ألا يقبلها

وخرجت مارية وفى عينيها نظرات سوداء ، ولما وقع نظر الرجل على الكمان بادر بالتقاطه ومسح الغبار الذى كان عليه وقال :

— لعل سيدتى قد أغفلت العزف

— وكيف عرفت أننى أجيد العزف ؟

ونظرت إليه فى حيرة وقلبها يشتد فى الخفقان وقال : على أن السيدات الأرستقراطيات لايقتنين كماناً حقيراً ليضعن عليه ريشتهن. فأدارت وجهها وقالت :

— لم أعد أوقع فقد ماتت الموسيقى

ثم أمسك بالكمان مرة أخرى وقال:

— إن الموسيقى نائمة ولن تموت، أتسمحين لى بالعزف . ثم أخذ يوقع لحناً كانت هى توقعه منذ سنوات مضت فى المسرح

— أين سمعت هذا الدور ..؟ لقد عزفته من قبل

— إنه أحد الألحان الوطنية

ورفع الآلة ثانية ثم تغنى بلحن مشج امتزجت عذوبته بأشعة الشمس المشرقة

— أنت لست بصفاح ... وما اسمك ؟ ثم ارتجف قلبها للمرة الثانية ... فقال :

— حقاً أنا صفاح ... ألم تر سيدتى ما عندى من أوان وأوعية ؟ وتلفت فى الحجرة يمنة ويسرة فراقه منها بعض ما فيها من آثار الترف ثم نظر إلى الحديقة فمز عليه أن يرى إله الحب ڤينس مذبوحاً وملقى على الأرض وقال بصوت كأنه يخاطب نفسه ولا يخاطبها

— أى عصفور يمكنه أن يغنى فى القفص ؟

— ومن يدرى ؟

فلما تركته واقفاً هناك خيم الأسى على عينيه وهو يشيعها ، وحامت الخفافيش حول مصباحه ذى الضوء الخافت ، وقال :

— سأعزف لك فى الصباح « أغنية البعث » وهى تؤدى لك رسالة وقد لا تؤدى

وجلست فى نافذتها وأسندت رأسها بيدها ... وانتصف الليل ... وانبعث من الغابة عزف سحرى أخذ بمجامع قلبها حتى حملها على البكاء قسراً ... وجال بخاطرها أنها ستصبح وحيدة رغم صغر سنها وتذكرت أنها ستصبح وحلة خائفة بين أعضاء فرقتها الموسيقية ؛ وأمامها فى الصيف ذلك الرجل تكاد عيناه تلتهمها التهاماً فنهضت من مكانها وقالت :

— نعم . هذا هو الواقع . لقد عرفت الجواب الآن ، ثم قالت :

— إنى قادمة

ولم تأخذ شيئاً ألبتة معها مما قد أحضره مستر بوينت ، وفى منعطف الطريق قابلت القافلة وقالت :

— قد تذكرت ... تذكرت ... !

وامتطت صهوة الجواد بجواره ثم لفها بغطاء أحمر فسار بهم اركب بين صلصلة أوانيه وأوعيته ، وبين صوت حوافر الجواد وهى تقطع الطريق الوعر ولم يخرج حديثهما عن المسرح وملعب التنس وحفلات الشاى

وها هى ذى قصة خيانة تعرض نفسها لمختلف الأحاديث والتعليقات ... هى قصة فتاة هجرت زوجها الثرى إلى الأبد لتتصل برجل بسيط أحبته

نعم ... فقد جلس الرجال العسكريون وسكان المدينة إلى المصطافين يتحدثون بصوت خافت :

لقد كانت دائماً غريبة الأطوار .. لقد أخرجها من الفقر إلى الغنى .. ومن فرقة الموسيقى إلى قصره الفخم

وبعد بضعة شهور كانت مارية تحزم بعض مجلات قديمة كان قد أحضرها مستر بوينت معه من فينا ، فاستلفت نظرها مقطوعات شائقة فى الصحائف المصورة وعثرت على صورة شمسية لرجل ذى شعر أسود شارب إلى البياض وقد انحسر إلى الوراء تاركا مكاناً ناحلاً بينه وبين جبهته العريضة وكان يرتدى ملابس السهرة وعلى ركبته كان

هذا هو دانزليس الذى اعتاد أن يزور كل عام فى زى صفاح ومعه قافلته تلك البقاع التى قضى فيها أوقات صباه وزهرة عمره ، وسوف يعزف أغنية فى بودابست فى الصيف ، وهى من أروع الأناشيد التى تحاكى قلب الطبيعة ... وقد بلغت مهارة ذلك الرجل الموسيقى مبلغاً عظيماً ، فطغت على ما عداها واكتسحت كل شىء أمامها ... فهرعت مارية إلى مستر بوينت وقالت :

— ها هو ذا الرجل بعينه .. إنه ليس بصفاح ياسيدى ... سألتك بالله أن تنظر ... فتناول مستر بوينت الورقة بيده الثليظة وقال :

— أنشودة البعث ... ماسمعت بها قط ، خذيها من وجهي ولن تعودى تذكرين اسمها أمامى ثانية .

ولما بلغت الباب استعادها وقال :

— أبلغى هنرى أن يأتينى بشراب (٧٧)

ثم نظر مستر بوينت إلى الحديقة فرأى المقعد الحجرى الذى كانت تجلس عليه هلدا فى الأيام الحارة مشتغلة بابرتها بجوار نافورة ڤينس وهو التمثال الذى أحضره من فينا ... ثم أخرج من غليونه عموداً من الدخان وقال :

— يمكن تعويضها ...

« ملطا » فؤاد الطرمى

الأغلال

للكاتب الفرنسي "بول هرفيو"

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل الأول

ينكشف الستار عن قاعة مزينة بأفخر الرياش تلوح من شرفتها حديقة شتوية ، الوقت مساء وقد أنيرت القاعة بنور ضئيل

المشهد الأول

(إرين وبولين أختان تتحادثان وهما جالستان إلى خوان)

(بولين تخاطب أختها بهدوء الناصح وإرين تضطرب ثم تقف تذرع القاعة طولا وعرضاً ، وفي الحديقة ثلاثة رجال يدخنون)

بولين — ما هي شكايتك من زوجك ؟

إرين — شكايتي منه هي أنني لا أحبه

بولين — أتعدين إذاً إعراضك عنه ذنباً عليه؟

إرين — عشر سنوات مرت عليّ وأنا أحاول اختراق قلبه بحبي فما أجدت محاولتي غير حبوط آمالي

بولين — ما يدفع بك وبأمثالك إلى الثورة إلا إعلان قانون الطلاق، فسقيا لزمان المحصنات الفاتنات المجاريات لحظهن في الحياة

إرين — لست ممن يختزن الموت في الحياة

بولين — هلا وجدت من حياتك نفسها منفذاً إلى الحياة؟ إذا كان الله حرمك الولد فاحرمك مباهج المجتمع . لك مسكن من أجمل المساكن تقيمين فيه فلا يزورك إلا زوجي وأنا ، فافتحي قاعتك للاستقبال وافتحي تيار العالم فانه ينقذك مما تولدينه لنفسك من أوصاب

إرين — لو أنني طالبة ملاذ لأخذت بعلاجك ، ولكنني طالبة سعادة؛ وما يوصلني إليها السبيل الذي تصفين

بولين — لا أدعي أن زوجك روبير كمال مجسم ، ولكنني أراك تحدجينه بعين مريضة ثائرة ، فكيف تتوقعين أن يروق لك ؟ إن دماغك يسكب سموماً على قلبك فأنت محيّرة في أمرك

إرين — بالله يا بولين لا تحولي الحقيقة التي ألمسها كل يوم إلى أشباح وأوهام . أفلا ترين أن زوجي كالحجر الصلد لا يتأثر لشيء ولا يشعر بشيء؟ أما أنا فلا أشعر منه إلا بحق سيادته، فكأنه لم يوجد إلا ليكون حاكمي المطلق وسلطاني البارد المستبد

بولين — (يتهكم) وهل يصح أن يحكمك أحد ، أنت التي لم تخلقي إلا للشعور ولمحبة كل شيء والاضطراب من كل شيء ، أنت التي تحيين من نسمة وتموتين من لفحة

إرين — ما أدعي بلوغ الذروة في الرقي ، وما أتطلب من زوجي صفات أعاظم الرجال . ولقد كنت أرضاه حقيراً فقيراً وأقنع بعيوبه لو أن فيه أقل شعور بالحياة . لو أنه يفرح أو يحزن ، إذن لكنت أرفعه على هيكل روحي ، ولكن زوجي متمم ذاته بذاته مصفح بشخصيته ، ويا ليته يبكي مرة واحدة لأسكب عليه كل ما أكبت من العطف والحنان في قلبي

بولين — أفما يتسنى لك إشعاره بعطفك عند ما يثور بينكما الخصام ؟

إرين — إنك لا تعرفينه ... إن أمثال هذا

الرجل لا يثورون ولا يحنقون لأنهم يرون الحق فى جانبهم أبدا فلا تنزعزع ثقتهم بأنفسهم. وليتك تنظرين إلى زوجى حين يفيق من رقاده ، فانك لتلمحين على سيمائه التصميم على إعلان حقوقه طوال النهار؛ فهو يفرض حقه على الخدم وعلى الخيل وعلى الكلاب ولا يمكن أن يرتكب خطأ فى أى أمر كان مع أى كان . . . وما سمعته مرة يتحدث إلا وهو يسرد قصة يكون غيره فيها المخطئ وهو المصيب.

بولين — ولكنه إذا وقف أمامك يصبح الحق فى جانبك على ما أرى

إرين — أنسيت حقوق الزوج ؟ إنه يلوح بها أبدا لفصل الخطاب بينى وبينه فاذا هو المصيب وأنا المخطئة .

بولين — إسمعى ياإرين ، لقد كنت أنا الساعية فى زواجك كما سمعت أمى فزوجتنى من قبل. وليس زوجى بأفضل من زوجك فهما فرسا رهان لكل منهما ثروة طائلة ولكل منهما ما تجنى الثروة على أصحابها من الكسل والجمود . لقد قذف الآباء الطامعون المجاهدون فى سبيل المال إلى الوجود بأمثال هؤلاء الأزواج الذين لا يخطر الزواج على بالهم إلا بعد أن تتحجر قلوبهم وتتعرى رؤوسهم فيهرعون حينئذ إلى الأديرة ليختطفوا من مقاعدها فتيات الجمال والمال . تلك هى طريقة الزواج فى هذا الزمان وليس لنا أن نبدلها . لقد اعترفت بالأمر الواقع، لذلك تريننى على أتم وفاق مع زوجى لأن حبنا متشابه متبادل ولا خيار فى الواجب .

إرين — إذن أنت فى عداد الزوجات اللواتى لا يتمسكن بأزواجهن إلا بقدر تمسك هؤلاء الأزواج بهن .

بولين — لم أفهم ...

إرين — لا يصعب عليك فهم ما أقول إذا أنت تذكرت ما قاله زوجك ونحن على العشاء حين كان ميشال دافرنيه يقص علينا أسفاره فى بلاد اليونان . أفما قال ليثبت حبه للأسفار : لو أننى أصبت بفقد عقيلتى وكنت لا أزال شابا ، فاننى أذهب سائحا فى تلك الأقطار .

أفما لاحت على وجهك علامات الرضى فكأنك كنت تؤيدين رأى زوجك وتجدين قوله طبيعيا لا غبار عليه .

بولين — وأية غرابة ترين فى هذا القول ؟

إرين — الحق أن لا غرابة فى أن يفتكر الزوج سلما فى كيفية سلوانه لشريكة حياته إذا ماتت. وأقل غرابة من هذا أن يعلن الزوج رأيه بحضرة زوجته وأن ترتاح الزوجة إلى مثل تلك الوقاحة .

بولين — تذكرى أن الخطأ كامن فى المبالغة ياعزيزتى .

ارين — أتجدين اخلاصى مبالغة ... فما هو تقديرك للرضى المتبادل بين زوجين على تمثيل دور الزواج بالخادعة والأكاذيب . لا ، إننى لن أرضى لنفسى بمثل هذا الشقاء يستتر رياء بوشاح الحب والاخلاص .

بولين — (وهى تبتسم بتهكم) إذا كنت لم أنتبه لما قاله زوجى ، فما ذلك إلا لأننى كنت مستغرقة فى التفرس بملامحك لأقرأ فيها تأثير ميشال دافرنيه بفصاحته الخلابة .

ارين — لم أفهم

بولين — أما أنا فقد فهمت كثيراً ... فوالله

ما اهتاجت أعصابك إلا المقابلة بين جهل زوجك وعبقرية صديقك القديم

ارين — وإلى م تذهبين بهذا الظن ؟

بولين — إلى أن هنالك غمامة صيف ستنقشع عن قريب . أرى الرجال يستعدون للخروج من الحديقة ، ولعلهم قادمون الينا فخير لك أن تغسلي وجهك فهو مكفهر وقد بدا الاضطراب فى عينيك .

ارين — (تتوجه نحو باب الغرفة) بل خير لى أن أضع وجهاً مستعاراً لأتمكن من الظهور أمام الناس بالتصنع والخداع .

المشهد الثانى

بولين وفرجان زوج ارين

فرجان — لماذا تركتك امرأتى وحدك ؟

بولين — أفما أتيت أنت لتقوم مقامها ؟

فرجان — أتيت لأستأذنك فى الخروج . إن حضرة المسيو دافرنيه ثقيل الوطأة علىّ بفلسفته وأخباره ، ولهذا أبقيته لزوجك فرديناند يتدبر الأمر معه .

بولين — أنت تدعى الانشغال حين تخرج من البيت ولكنك لا تذهب إلا إلى النادي

فرجان — لقد تعود أصدقاء النادي الاجتماع فيه ، وليس لهم أن يخلفوا وعدهم .

بولين — أفلا يخطر لك بعض الأحيان أن هنالك أمراً يجدر بك أن تهتم له ؟ أفلا تفكر فيما يمكن أن يجول فى مخيلة زوجتك وأنت تسلمها إلى العزلة والانفراد ؟

فرجان — أنا واثق من أنها على أحسن حال حين أفارقها ، أفما رأيت اغبرار وجهها عند ما كنا على العشاء . دقق فى ملامحها بعد ذهابى فلسوف يتضح لك أنها ستعود إلى المرح والسرور . تلك هى عادة أختك : إذا أنا اقتربت منها جللها الكدر ، وإذا ابتعدت عنها انبسطت نفسها وزال عن وجهها القطوب .

بولين — خير لك أن تنظر فى مداواة العلة من أن تتلهى بوصف أعراضها .

فرجان — ماذا تريدين أن أفعل ؟ لقد لاح لارين أن تستحسن هذه الطريقة ، وما أنا بمضيع أوقاتى فى حل الرموز .

بولين — إذا كانت هذه هى طريقتك أيضاً فالخرق بينكما سائر إلى الاتساع

فرجان — يؤلمنى ذلك . ولكن ما يهمنى شىء إذا كان ضميرى مرتاحاً إلى طريقتى . وهل لك أن تقولى لى ما هو قصورى تجاه إرين ؟

بولين — أنت مقصر وبرهانى على قصورك أنك لم تنالها السعادة

فرجان — وهل تظن أختك أننى أنا سعيد بمشاهدتى سحنتها الشاحبة الفاتمة ؟ كلما زادتنى قطوباً زدتها هجراً . لقد قررت أن ألهو خارج بيتى إلى أن يثوب رشد زوجتى إليها

بولين — وما يحل بإرين يا ترى أثناء لهوك ؟

فرجان — إننى أمنحها وقتاً للتبصر فى أمورها

بولين — أتريد إخضاعها بالعنف ؟

فرجان — إنها زوجتى وأنا القيم عليها

بولين — هي لنفسها أولا يا فرجان

فرجان — لقد اتخذتها زوجة لى لأوفر لها الحياة الهنيئة ، فقمت بواجبي ، فما أنا أطالبها إلا بالهدوء والسكينة واللذة التى يتمتع كل الناس بها

بولين — ليست إرين كبقية الناس

فرجان — إنى آسف لذلك ، فلا يلومن الانسان الشاذ غير نفسه . إنى لست مطالباً بالخروج على القاعدة المتبعة . أريد أن أتمتع بالحياة كما هي وإرين تمضى أيامها بالاستغراق والتفكير ، أما أنا فأكره قرع الأوهام ولا أفهم ما هي الأفكار التى يشغل الانسان فيها دماغه إذا لم يتجه إلى تنظيم حياته ؟ على أختك أن تصلح نفسها ومن واجبك أن تدعيها إلى ذلك

بولين — كنت أحاول هذا الأمر منذ هنيهة

فرجان — وماذا كانت حجتها ضدى ؟

بولين — لم يكن لها من حجة عليك غير الحجة التى تدلى بها أنت من قبل

المشهد الثالث

بولين ، فرجان ، إرين

(تدخل إرين فيبدو عليها الاضطراب إذ ترى زوجها)

فرجان — (هما لبولين) أنظرى ، تأملى (بصوت عال) لقد عادت رفيقتك فهأنذا أهرب (يظهر الارتياح على وجه إرين)

فرجان — تأملى واحكمى ...

(ينحنى فرجان مسلما ويخرج)

المشهد الرابع

بولين . إرين

إرين — لقد كنت أنا مدار الحديث بينك وبينه

بولين — وما عساه يكون سوى ذلك ؟ لقد اتخذت لهجة الاعتدال فى النصح

إرين — والنتيجة ؟

بولين — هى النتيجة نفسها التى توصلت إليها تجاهك .

المشهد الخامس

بولين ، إرين ، فالانتون ، زوج بولين ، ميشال دافرنيه .

(يدخل الرجلان من الحديقة)

فالانتون — (مخاطباً ميشال) — إذاً لم أتوصل إلى إقناعك

ميشال — ولن تتمكن من زعزعة اعتقادى .

فالانتون — (موجها الخطاب إلى زوجته وأختها) كنت أقنع صديقى بوجوب زواجه .

إرين — ممن ؟

فالانتون — لم نصل إلى حد تعيين العروس ، فقد كنت أقول لميشال : لقد بلغت الثلاثين وأنت رجل مثقف ولك شهرة ومقام فى الكلية ، فمن السهل عليك أن تجد عروسا ذات جمال ومال. وقد مرت عليك أيام طويلة فى باريس ولم أرك تفكر لا فى الاندفاع إلى الفروس ولا فى التسلى بالملاهى .

بولين — آه

فالانتون — إذاً لست عاشقا ، ياصديقى ، ولا شىء يحول دون زواجك ، فما عليك إلا أن تصمم على الزواج ثم تجيل أبصارك فيمن حولك من الفتيات حتى إذا اخترت إحداهن تفكر بعد زواجك فى خلق الحب بينك وبينها ، تلك هى القاعدة ولا خير فى العمل بسواها .

بولين لميشال — وبماذا أجبت على هذا النصح؟

ميشال — أما أنا فلا أرى فى الوجود إلا ثلاث حوادث هامة هى الولادة فالزواج فالموت . وكلها متساوية تخضع لنظام واحد . فاذا كان الانسان لا يجىء الحياة مختارا ولا يبارحها مختارا فالزواج لا يرسو أيضا على الاختيار وهو صنو الولادة والموت. من منا لم يأت الحياة صاغرا ولن يبارحها صاغرا .

لذلك أريد أن يكون الزواج تابعا للبداهة لا أثر فيه لتصنع الانسان وإرادته . أريد أن تكون كلمة الايجاب والقبول فى الحب كلمة مقدسة تدفعها الطبيعة من مستودع أسرارها كما تدفع الطفل إلى الصراخ حين يستقبل النور، وكما تدفع المحتضر إلى الأنين وهو يبارح الحياة .

إرين — إن الطبيعة تسود ولادتنا وموتنا ولكنى لا أراها تهتم كثيرا بتزويجنا .

ميشال — بلى ، إنها لتهتم إذ أنها تفتح قلبنا لشخص واحد ينحصر الوجود فيه لدينا . تلك هى القوة التي تنور قلب الانسان مرغمافهى أشبه القوى بالناموس الالهى الذى يفتح الأعين للنور ويغمضها للقبور ...

بولين — ولكن الانسان مخير فى زواجه فهو يقدر ألا يتزوج ، وهو مخير فى زواجه بلاحب حتى إنه ليتزوج بالرغم من الحب

ميشال — ذلك لأن الطبيعة التى تستقر فيها ناموس الحياة والموت قد شاءت أن تركز ناموس الزواج على قاعدة الشعور الخفى فهى تنبه الانسان بواسطته متوسلة باكية ثم تهيب به مسيطرة موجعة

ارين — ولكنها مع ذلك لا تقوى على ردع الانسان عن الزواج الموافق لأحوال الأسر والمنفعة الشخصية .

ميشال — إذا نحن ترفعنا عن الطبيعة فلا نفلت من سيطرتها إلا إلى حين ، فهى تتحكم فى الحياة من حيث لا ندرى ، فاذا لم يذهب الزواج بالرجل والمرأة إلى الحب عن طريق المودة والرحمة فان الحب يربط أحد الزوجين أو كليهما برباط الزواج الحقيقى خارجا عن أنظمة الناس بالرغم من كل قاعدة مرعية

فالانتون — أما أنا فلا أفهم من الزواج غير شريعتين شريعة الكنيسة والقانون المدنى .

ميشال — لا زواج حيث لاحب . . . ولقد شاءت التقاليد أن تجعل الحب سلعة تسام وعملا يتفق عليه متعاقدان بموجب عهد . ولقد يكون مثل هذا الزواج راسيا على حق الايجاب والقبول ولكننى أنكر عليه كونه أخا الولادة والموت .

بولين — لذلك تعلمت هذه المبادىء فى مدرسة أثينا ...

ميشال — بل تعلمتها فى مدرسة الحياة ، وأنت تعرفين كيف قضيت حياتى .

فالانتون — أما كنت أول رفيق لأخت عقيلتى أيام طفولتها ؟

ميشال — لقد كان مسكنها قرب مسكنى عند ما كان لي أب وأم ؛ وعند ما حرمنى الله الأب والأم قاسمت جارتى الصغيرة ألعابها .

(يدخل خادم ويقول ان مربية مدام فالانتون حاضرة أمام الباب)

فالانتون — (للخادم) حسن فلتنتظر

(يخرج الخادم)

بولين لميشال — لقد كنت ضعيفاً متألماً وأنت صغير ...

ميشال — تلك قسمتى من الدنيا وما الضعف إلا إرث يتلقاه الأبناء عن الآباء .

ارين — ولكن ميشال كان سىء الطبع

ميشال — لا أذكر أننى كنت سىء الطبع يا سيدتى .

ارين — أما أنا فأذكر كل ما كنت تخترعه لتكديرى ؛ وعندما كنت أبكى كنت تقطب وجهك وتذهب دون أن تبالى بقهرى .

ميشال — لعل الصبيان هكذا يكون

(ينهض فالانتون مشيراً إلى زوجته بالذهاب)

فالانتون — (مخاطباً إرين) إنني أعتذر لاضطراري إلى الذهاب. لقد أتعبني الصيد اليوم وعلى أن أعود غداً إلى الصيد أيضاً

إرين — ولم لا تأخذ لنفسك راحة من هذا العناء؟

فالانتون — لو كان الصيد عملا لوجب أن تتخلله راحة ، ولكنه تسلية (يتجه فالانتون نحو ميشال ويصافحه)

فالانتون — إلى اللقاء أيها الصديق

ميشال — (يقف هو أيضا) وأنا أيضاً أريد الذهاب فقد طالت زيارتي ، وما كنت لأطيلها لولا أنها زيارة الوداع

إرين — زيارة وداع !

بولين — أنت مسافر إذاً ؟

ميشال — لقد عهد إلى بالقيام بدروس في آسيا الصغرى

إرين — وما يوجب هذا الاسراع يا ترى ؟

ميشال — أمور لها شأنها

(يتجه فالانتون وعقيلته نحو الباب فتلتفت بولين إلى ميشال)

بولين — وهل لك أن تزورنا قبل سفرك ؟

ميشال — سأزوركم ولا شك يا سيدتي

(ويتقدم ميشال ليودع إرين فتستوقفه باشارة خفية)

المشهد السادس

(إرين ، ميشال)

إرين — ما هي هذه الأمور الهامة التي تستدعي إسراعك بالسفر ؟

ميشال — وددت لو أنني لم أنوه بها

إرين — كنت تفضل إذاً أن تطلعنا على سفرك برسالة من بعيد ؟

ميشال — دعي العتاب ولا تلومي

إرين — ما معنى هذه الألغاز ؟

ميشال — لقد سافرت للمرة الأولى أتلمس قوة أحكم بها نفسي ، وما عدت إلا لأتيقن عبث محاولتي . عرفت أنني أسأت إلى نفسي بالرجوع ، فهأنذا أعاود أسفاري

إرين — أفلا يحق لي أن أطلع على هذه الأسباب؟

ميشال — بل لا حق لأحد سواك في معرفتها

إرين — آه !

ميشال — سليني أجبك

إرين — لم أعد أجسر على السؤال

ميشال — إذا كنت لا تجسرين فسأقدم أنا على القول من نفسي

إن هذه الأسفار الطويلة التي ألفتها بين الأطلال وبقايا الأزمنة الغابرة جعلتني محباً لكل شيء حكم عليه بالزوال تبقى على الأرض آثاره . لندع الحاضر ، اتبعيني إذاً إلى مجاهل التذكار ، إذا شئت فلسوف أقودك إلى متنزه جميل تسوده الروعة كأنه أطلال هيا كل مندثرة

إرين — أراك تعود إلى طريقتك القديمة يا ميشال ، فها أنت ذا تريد تعذيبي كما كنت تفعل وأنت صبي

ميشال — عند ما قضي عليك بالزواج ، كنت أنت في الثامنة عشرة وأنا في العشرين . دخلت أنا الكلية ، ودخلت أنت بيت فرجان . احتملت القضاء كأنه عدل مصدره مجهول ، وما أدري ما تكون المواطف في قلب امرأة لم تتجاوز الثامنة عشرة ، غير أنني أعرف ما يشعر به شاب لم يتجاوز العشرين . تعودت أن أراك بعد زواجك

صامتاً صاغراً إلى أن انجلت لى سرائرى فعرفت أننى أحبك . عرفت أن السنين التى توالت علىّ وأنا بقربك قد حشدت من الوجد فى قلبى ما يصدعه. من عرف ماضيه وما ترا كم فيه من الهيئات فهو على بينة من مستقبله ، وما كنت لأجهل ما فى نفسي ، فأدركت أن القضاء جعل حبي وقفاً عليك دون من فى الأرض من بنات حواء . قضى لى أن أحبك وقضى علىّ أن أحرمك . اضطهدنى الزمان فهربت منه وفزعت إلى العمل من الغرام . وإذا ضاق مجال العمل عن سلوانى هربت إلى الأسفار، إلى المنفى . سافرت منذ ثلاث سنوات إلى الشرق محاولا إغراق بلابلى فى بحر أنواره ، حملت عينى وقد انطبعت عليها صورتك لعل شعاع الآفاق فى أجمل بلاد الله يمحو جمالك . ولكننى حاولت عبثاً وما أنا أعود إلى تلك البلاد مفترآ بشفائى ، ولكن المريض يتقلب على جنبيه وفى الجنبين مرض وآلام

إرين — قف عند حد الماضى ودع الحاضر فان أتبعك إذا سرت على سبيله

ميشال — لقد وقفت حيث يجب الوقوف فلن أزيد كلمة على ما قلت

إرين — (بعد سكوت قصير) لا أفهم ما قلته عن الفرق بين عواطف الرجل وعواطف المرأة ، فهل للرجل أن يسلو بالابتعاد والهرب . أما أنا فأرى أول واجب على المحب ألا يهرب من محبوبه

ميشال — هل من برهان على قوة المحبة أشد من الهرب حين لا يجدى الاقتراب غير التألم والويلات ؟

إرين — أفلا ترى أن القيام بالواجب فى القرب أولى من السلوان فى النوى ؟ أتعلم أننى أعانى التضحية ولا تقدم عليها ؟

ميشال — ما كنت أعلم أنك تعانين التضحية لأقدم عليها

إرين — وأنا أيضاً ما عرفتها قبل اليوم

ميشال — وما الذى غيرك وكشف لك سريرتك يا إرين ؟

ارين — لقد طرحت نفسي نقابها؛ وها أنا ذى أراها متجلية أمامى بكل خفاياها وبكل خوفها من أن تفقدك يا ميشال

(تجلس إرين على كرسيها وتغطى وجهها بيديها وتنخرط فى البكاء

ارين — لقد تعودت أن أحسبك ملكا لى .. وهأنذى أشعر أنك قطعة من قلبى فكيف أنسلخ بدون أن أتقطع ألماً ؟

ميشال — عفوك يا إرين لقد آلمتك . وقد كنت أحسب الألم مكتوباً علىّ وحدى .

ارين — عدنى بأنك لن تسافر

ميشال — وماذا يحل بنا يا ترى لو بقيت بقربك؟

ارين — ليكن ما يكون . لينزل المستقبل على بكل ويلاته . إننى أرضى بها ولكننى لا أحتمل بعادك . كن لى ملاكا حارساً يا ميشال. كن تعزيتى فى أحزانى . ليتك تعرف مقدار عذابي . لأنفاق بيدك نافذة الرجاء التى تدر أنوارها على لأول مرة فى حياتى . لنكن مفترقين مقتربين . دعنى أرك وأسمعك . لا تبتعد عنى ، فنبقى كالأخوين نقتسم نصيبنا من الدهر ولكل قسطه من عذابنا الواحد .

ميشال — أراك تعترين بقوتى يا إرين .

إرين — أرانى قوية أنا، لأننى أعتقد القوة فيك.

ميشال — أنت على تقتمن شرفى، ولهذا تجدينى

أرفع من أن أخاط احترامى لك باحتقار مقامك . ولكنك لا تعلمين ما يمكن أن يجول فى قلبي من العواطف التى تلطخ أشرف نزعاتى بقربك .

إرين — لا أفهم ما تعنى

ميشال — لا تنسى أن بقربك رجلا هوسيدك وله الحق فى التمتع بك كما يشاء .

إرين — لست كريما يا ميشال

ميشال — بل لست حجراً، فالغيرة تقتلنى قتلا

إرين — اسكت

ميشال — إننى إن أهرب فما هربى منك فالدنيا بكل مداها أضيق من أن تضع حاجزاً بينى وبين هذا الرجل الذى يسودك

إرين — (بعد سكوت طويل) لقد شعرت بما لك على . لا أقدر أن أكون لك فلن أكون لسواك

ميشال — أواه ... أتقسمين بالمحافظة على هذا العهد !

إرين — نعم أقسم إذا بقيت بقربى وشجعتنى وحميتنى ، فلسوف تقرأ كل يوم آيات الأمانة فى عينى . سوف أكون لنفسى

ميشال — (ياخذ يد إرين فيقبلها) تشكرك روحى من أعماقها يا إرين

إرين — عد إلىّ لأراك ، فقد رجعت اليوم إلى الحياة

ميشال — وأنا اليوم قد بعثت من عالم الأموات

(يخرج ميشال من باب الحديقة)

المشهد السابع

(بعد أن تشيع إرين حبيبها بنظرات الحب تعود فتستلقي على مقعدها ، ثم يفتح فرجان باب غرفته ويتقدم ببطء من إرين ويضع يده على المتكأ

فرجان — أنائمة أنت ؟

الصيف خفيف هذا العام

لأن

شركة مصر للغـــزل والنسج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الخفيفة على اختلاف انواعها

معتدلة فى أثمانها جميلة فى ألوانها

فبادروا في اخذ طلباتكم

إرين — لقد أرعبتنى

فرجان — ما كنت أقصد هـذا ، وما كنت عارفاً أنك باقية فى القاعة وقد انطفأت النار فى الموقد . (يأخذ يدها بيده) إن يديك باردتان كالثلج

إرين — دعنى

فرجان — ماذا طرأ عليك ؟

إرين — أريد أن أبقى منفردة

فرجان — أعاودك اضطراب أعصابك ؟

إرين — نعم

فرجان — إننى أفضل أن تكون أعصابك فى ثورتها؛ فانك أجل ثائرة، منك مستسلمة للأسى

إرين — أرجو أن تدعنى وشأنى

فرجان — لن أتركك

(يتقدم فيطوق خصرها بذراعيه فتفلت منه وتتجه نحو باب غرفتها وفرجان يسير وراءها)

إرين — إنك تدوس أذيال ثوبى

فرجان — (بتحنى على أذنها) أريد أن أوصلك إلى غرفتك

إرين — لا ، إننى لا أريد

فرجان — إسمعى

إرين — لا ، لن أسمع

(تدخل الغرفة وتوصد الباب فى وجه فرجان فيبقى أمام الباب ينادى)

فرجان — إرين ... إرين ... إرين ... آه ، سوف ترى

الفصل الثانى

(يرتفع الستار عن الغرفة التى انكشف عنها فى الفصل الأول غير أن المشهد يظهر فى ضوء النهار بدلا من ظهوره على نور المصابيح)

المشهد الأول

(فرجان وإرين ، هو إلى خوان وأمامه كأس شاى يشربها، وهى إلى الجهة المقابلة غارقة فى مطالعة كتاب تحمله بيدها . يقف فرجان بغتة ويتقدم إلى إرين فيأخذ الكتاب من يدها ويضعه)

فرجان — بالرغم مما أوصلتنى إليه من الرغبة عن محادثتك ، لا أرى بداً من اطلاعك على أمور قررتها اضطراراً . لقد مضى الشهر وأنت تشكين الصداع واختلاج الأعصاب ، ويؤلمنى أن تستسلمى لمثل هذه الأوصاب الوهمية وما خفيت عنى أسبابها. غير أننى سأنتهز فرصة انتهاء أجل الايجار لترك هذا القصر والخروج بك من باريس . إن هواءها لايضر بك على ما أرى ، فهل لك ما تقولينه فى هذا الشأن ؟

إرين — لا

فرجان — لقد اخترت مسكنين فى الضاحية لكل منهما حديقته ومناظره الرائعة ، وأبقيت لك حق الترجيح ، لأنك ستقيمين فى البيت أكثر مما أقيم به أنا ، فإن أشغالى تضطرنى إلى الحضور لباريس فى كل يوم ، لذلك أرجو أن تقولى كلمتك فى أقرب آن

إرين — (تقف بحدة) قلت لك أن لا حق لى فى إبداء الرأى فى أى أمر كان ، فأنا أعتبر اتحادنا مفصوماً، وليس لنا أن نواجه المستقبل بنظرة واحدة فيما بعد . أنت تبغضنى وأنا أبغضك

فرجان — وهل من مسبب لهذا البغض المتبادل سواك ؟ لقد أحرجتنى. غيرى مسلكك أغير طريقى

إرين — وهل أملك تغيير مسلكى معك ؟ إن ما أشعر به لا أقدر على مقاومته

فرجان — إنك الآن على غير ماعهدت من قبل

إرين — وهل كنت إلا ككل فتاة تتزوج مكرهة أحاول أن أخلق الحب خلقاً فى فؤادي فما أجدت محاولتى شيئاً ؟ لقد كنت ألقى حبك فريضة على قلبي كما يلقى الايمان كرهاً إلى الفكر دون اقتناع به فما استفدت غير الشقاء والآلام . أقسم بالله أنى لن أقدر أن أعتاد على حبك اعتياداً . لقد تفحصت أعماق قلبي فلماذا أخدعك وأخدع نفسى

فرجان — (وهو يتميز غيظا) إن كل كلمة خرجت من فمك إنما هى حنث بعهودك وتحقير لواجباتك

إرين — لتكن كلماتى ما تكون فانها صرخة مدوية فى أعماق روحى

فرجان — لا أفهم ما تقصدين

إرين — وأنا أيضاً لا أفهم ما تريد أنت

فرجان — ماذا ترجين يا ترى ؟

إرين — وأنت ما هى آمالك ؟

فرجان — أراك مجنونة ولكل داء دواء

إرين — إذا رأيتنى مجنونة فكن أنت عاقلا على الأقل

المشهد الثانى

(إرين ، فرجان ، بولين)

بولين — (تدخل بغتة) يا لله . ماذا جرى ، أفلا يمكن أن تتفقا ؟

فرجان لبولين — سوف أتركك معها لتتحققى أمرها وتعلمى إلى أين بلغ بها الجنون . دعيها تتكلم فان ما تقوله لا جواب عليه

المشهد الثالث

(إرين ، وبولين)

بولين — أفلا تزال أعصابك فى هياجها ؟

إرين — إنها ستزداد هياجاً من يوم إلى يوم ، ومن ساعة إلى ساعة . إن مثل هذه العلل لاشفاء لها

بولين — تذرعى بالصبر يا إرين

إرين — وعلامَ أصبر ؟ لقد سمعت أمس تهديده ، وها هوذا اليوم يعمل على تنفيذ أحكامه فقد أعلن لى أنه سيأخذنى من هنا . فهو يريد إلقائى فى سجن يكون هو السجان فيه

بولين — مسكينة يا إرين !

ارين — لقد وصلنا إلى حيث لا منفذ لنا إلا بالطلاق أو ...

بولين — أو ماذا ؟ ...

ارين — إلا الطلاق أو الموت .

بولين — بربك يا ارين اصمتى .

ارين — لقد قضى الأمر فكونى معى أو فكونى على .

بولين — وهل أكون معك فى مثل موقفك إلا إذا كنت عليك ؟ ماذا تشكين من هذا الرجل الذى ينحنى أمام إرادتك ؟ أفلا يكفيك منه أنه وهو زوجك لايتمتع بحقوق الزوج منك ... أفلا ترينه بفضل الكثيرين ، فهو على الأقل لا يلجأ إلى إغضابك ، ولو كان سواه فى موقفه لما أحجم عن استعمال القوة لارغامك ...

ارين — اصمتى ، يا بولين ، على المرأة ألا تضحى بنفسها لأحد .

بولين — ولكن الواجب يقتضي هذه التضحية من كل امرأة فاضلة .

ارين — لا ، إنني أنكر العظمة والفضيلة على ضحية تنبت فى تربة الكره والاشمئزاز .

بولين — ان الدين يقضى عليك بهذه الطاعة .

ارين — لا ، يا بولين ، ان الدين الراسى على التضحية بكل مبادئه السامية ، لا يقضى بمثل هذه التضحية الراسية على تدنيس القلب . إذا كان إنكار الذات فضيلة فما تدنيس الذات إلا رذيلة لا تنحط عنها رذيلة فى الحياة . أفلا يعلمنا الدين أن الطهارة هى أقوى ما يتزلف به مخلوق إلى الله ؟ وهل من الطهارة أن تستسلم المرأة بلا حب لشهوات حيوان ؟ أهذا هو الزواج ؟ أيمكن أن يمسخ الانسان باسم الشريعة أقدس مافى الانسانية تكلفاً وكذباً ورياء؟ أيمكن المرأة أن ترى فى رجل هادم حياتها ونيرون قلبها ثم تقتسم معه ثمرة الحياة والموت ؟ يالله من هذا الدنس! ويالله من هذا العار ياصقه الناس بروح الوجود ولا يخجلون !

بولين — أنت عاشقة يا ارين .

ارين — وما هو برهانك على ما تدعين ؟

بولين — ان البغض سلبى ،أما المحبة فايجابية؛ ولا يتفوه الانسان بمثل ما تتفوهين به دون أن تحفزه قوة إيجابية مستقرة فى أعماق روحه .

ارين — هبى افتراضك صحيحاً أفلا ترين فى الحب قوة أشد من قوة البغض تهيب به إلى الخلاص؟

بولين — ولكن من يضمن وأنت على مثل هذا التمرد أنك لن تعاملى زوجك الثانى كما تعاملين زوجك الأول الآن ؟

ارين — لست أنا الآن تلك الفتاة التى تزوجت منذ عشر سنين ، هى غيرى تلك العروس التى اقتلعت من مقعد دروسها اقتلاعا لتطرح على سرير رجل مجهول . لقد صرت (أنا) الآن فأنا أعرف ما أريد وما لا أريد وما لا طاقة لى باحتماله . إن فى أعماقى قوة تهيب بى للانعتاق أو للموت .

بولين — اسكتى بحق الله يا ارين . ويلاه كيف الخلاص ، وما العمل ؟

ارين — لقد آن أوان العمل . أنت زوجتنى فعليك انقاذى الآن .

بولين — أنت إذا مصرة على عزمك .

إرين — وهل بامكانى أن أحول عنه ؟ إذهبى إلى زوجى وأعيدى عليه مالا يريد الاصغاء إليه .

بولين — ولكن للطلاق شروطا ، ياإرين ، ولا يمكن الحكم به دون أسباب مبررة ثابتة .

إرين — إذا توافقنا على الافتراق سهلت أمامنا الوسائل . إذهبى إليه وقولى له كل ما ترين من خطورة الحالة . إن هذا الرجل يخشاك ولا أراك إلا مدركة ما يجب عليك القيام به تلافيا لأشد الاخطار .

المشهد الرابع

(إرين ، بولين ، خادم)

الخادم — إن المسيو دافرنيه بالباب يستأذن فى الدخول

إرين — ليتفضل

المشهد الخامس

(إرين ، بولين)

بولين — أى حديث سيدور بينكما يا ترى؟ أهو عالم بما يجرى؟

إرين — لا، إنه لا يعرف شيئا

بولين — مسكينة أنت ياأختى .

(تقبل إرين بولين وتخرج)

المشهد السادس

(إرين ، ميشال)

ميشال — أستمحك العفو لأنني أتيه

إرين — لك عفوى يا ميشال، وقد كنت فى سنى عن الحضور الآن

ميشال — وعدتك أن أبتعد عنك ، وأقسمت ألا أقترب منك ، ولكننى تمثلتك معذبة فأشفقت على نفسى وعليك .

إرين — أفما نتوقع أن يدور القضاء دورته ونحن مفترقان ؟

ميشال — لقد صرت أحذر الآمال وأخاف الأمانى .

إرين — لئن غبت عنى فرسمك ماثل فى فؤادى وأينما اتجهت بأنظارى أراك بجبينك الشاحب بنم عن مرض فيك تحتم علىّ شفاؤه

ميشال — وهل لمثل غرامى أن يشفى ؟

إرين — أريد محو ما ارتسم على وجهك من شقاء ، أريدك سعيدا تتذوق لذة الحياة يا ميشال .

ميشال — وهل لإرادتك أن تهدم ما بيننا من حوائل ؟

إرين — قل لى ، يا صديقى ، أفلا ترانى وأنا غائبة عنك ماثلة أمامك كما أراك أنا ماثلا أبدا لعيانى

ميشال — أجل إننى أراك . أراك فى غيبوبة فكرى ، فتشاهدك بصيرتى بأجلى مما يشاهدك بصرى ، وأشعر أنك لى دون أن يدنس عرضنا لؤم أو يحوم فوقنا ارتياب .

إرين — يا لله ما أشبه روحك بروحى! فكأن تفكيرى إمتداد لتفكيرك، أو كأننى شعلة منبثقة من نورك . كلانا مترفع عن الدنايا طامح إلى الحق الصريح

ميشال — أصحيح ما تقولين ؟

إرين — إصغ إلىّ : إننى منذ زمان مديد أفكر فى طريقة نجمع بيننا بلا لوم أمام الله والناس

ميشال — وكيف يكون هذا يا إرين ؟

إرين — إن القضاء يدور لنا أو علينا فى هذه الساعة . إن أختى تخاطب زوجى فى هذه اللحظة لتطالبه بحريتى

ميشال — وهل تؤملين النجاح فى هذا المسعى ؟

إرين — لا أعتقد أن هذا الرجل سيتمسك بالبقاء معى فى جحيم دائم الاضطرام

ميشال — ليتنى أشاطرك الأمل يا إرين

إرين — عليك أن تسافر الآن إلى أن أعد العدة للخطوة الأخيرة

ميشال — أتقضين علىّ بالابتعاد عنك الآن

إرين — أطلب ابتعادك حتى تعود إلىّ بعد سنة إذا أنا نجحت فى مسعاى ، وإن أنا فشلت فجال الأرض رحب والأمر لله

ميشال — ويلاه !

إرين — إذا قضى علينا بفراق لا لقاء بعده ، فاننا نلبس الحداد على حياتنا ونبقى طاهرين أمام ضميرنا فمثلك ومثلى لا يتخذان الخداع سبيلا لسعادة مكذوبة

ميشال — أنت حياتى يا إرين

إرين — إننى أواجه الحقيقة فلا أخادع نفسى

ميشال — ولكننى لن أطيق الفراق إلا على ذكرى وأمل؛ فامنحى عينىّ من نور عينيك ويدى من حرارة يديك (يتقدم إليها بحركة ملؤها الجوى فتتراجع عنه)

إرين — لا تدخل الاضطراب إلى نفسى . لا تفقدنى الثقة بذاتى . إياك أن تفسد إيمانى بعزة نفسى . إذا كان الدهر يقضى لنا فى هذه الساعة ، فلا تلطخها بوصمة ضعف أندم عليه فى أى زمان . دعنى أنا خطيبتك يا ميشال

ميشال — أواه ، إننى أعبدك (يضع على جبينها قبلة) أنا خطيبك المطيع لأمرك

إرين — لقد طالت زيارتك ، فاذهب الآن

ميشال — أأذهب دون أن أعلم ما قضى الله فى أمرنا ؟

إرين — سأبلغك الحكم فى حال صدوره

ميشال — ولكن من يضمن لى أنك ستتمتعين بحريتك بعد اليوم ؟ أفما تحاذرين أن يمنعك زوجك من الخروج وأن يراقبك فلا تتمكنين من الكتابة إلىّ ؟

إرين — (تشير بيدها إلى الحديقة) أدخل إلى الحديقة وانتظر إلى أن نعلم ما قدر لنا

(يتوارى ميشال فى الحديقة)

المشهد السابع

(إرين ، بولين)

بولين — أذهب ميشال من هنا ؟ لقد خفت أن يدخل زوجك فيراه أو يلتقى به فى البيت وهو على ما هو عليه من هياج فلا نأمن سوء العاقبة

إرين — هو يرفض إذن ؟

بولين — سوف تسمعين حكمه من فمه فهو آت

المشهد الثامن

(إرين ، بولين ، فرجان)

فرجان — أهذه هى المؤامرة الرائعة التى كنت تدبرينها مع أختك يا إرين

بولين — لم يكن من مؤامرة بيننا

فرجان لإرين — أهذا ما كانت تضمر كل آلامك العصبية ، لأجل التوصل إلى هذه المحجة كانت كل هذه المحاولات

إرين — أنت تعلم أننى ما اتخذت تجاهك مرة واحدة طريق الخداع والمداجاة فما أخفيت عنك تمردى . لقد أعلنت لك بكل صراحة أننى لا أحبك ! والآن أكرر القول بأننى ضقت ذرعاً بك وبحالى ولا قبل لى بالاحتمال . أفما آن لنا أن نفك أغلالنا ونضع حداً لهذا العذاب ؟

فرجان — يا للغرابة أن تنتصبى أنت الممثلة ضلال القلب والتمرد على الشريعة والعفاف لتطلبى منى الرضوخ لك أنا الممثل كرامة الأخلاق وقداسة العادات وشرف المجتمع وحق الشرع ؟

بولين — إسمع يا فرجان ، مالك وللاعتصام بالمبادئ والشرائع ، فما نحن نناقشك فى مواد القانون

فرجان — وفيم تناقشيننى إذاً ؟

بولين — لقد حاولت من جهتى أن أمنع البركان من الانفجار فلم أفلح

فرجان — أشكرك على هذه المحاولة

بولين — كن عادلا يا فرجان ، كن شفيقاً ، أتوسل إليك باسم محبتى لأختى واعتبارى لك أن ترفع نفسك إلى أرقى مراتب العظمة

فرجان — لقد حسن لدى أن تتخذك أختك واسطة بينى وبينها فى هذا الأمر ، وأنا أجد من حق ألا يتوسط أحد بيننا فيما لا يعنى سوانا ، فالحديث سيكون إذاً بينى وبينها

إرين — لا ، يا بولين ، لا تذهبى ، لا تتركينى وحدى معه

فرجان — لا تخافى فلن أرفع يدى عليك

وقد تتوقين إلى مثل هذه المعاملة الخشنة تتخذينها حجة عليّ ، إذهبي يا بولين ، فأنا صاحب الأمر هنا

بولين — لله ما أقساك

بولين — (تتقدم إلى إرين وتقبلها قائلة) اغفري لي عجزي فما ادخرت جهداً في سبيل مرضاتك

المشهد التاسع

(إرين ، فرجان)

إرين — إلى أية دركة تريد قذفي يا فرجان ؟

فرجان — لا أقصد إلا إعادة رشدك إليك

إرين — لقد أبديت لك الأسباب التي توجب فراقنا ، فما هي الأسباب التي تدعوك إلى التمسك باتحادنا ؟ لا حجة لك إلا إذا ادعيت العشق وتظاهرت بحب مكذوب

فرجان — ما أدعي أني أحبك لأني لا أحبك ، ولكن لي عليك دعوى القتيل على قاتله ، فأنت مزقت حياتي تمزيقا

إرين — إذاً أنت طالب انتقام ، أنت تقضي علي بكفارة لا نهاية لآلامها

فرجان — إني إن قصدت ذلك لا أكون إلا مستعيداً ذرة من حقوقي الضائعة . ولكنني لا أخرج ببرهاني من هذه المقدمة . لقد عقدنا يوم زواجنا اتفاقاً وكلانا بصحة العقل والجسد وهذا الاتفاق صحيح لا غبن فيه ولا تغرير وهو سالم من شائبة التزوير ، وبموجب هذا العقد أصبحت رجلا متزوجاً أي رجلا مزدوجاً أدبيّاً ومادياً ، وقد قمت من جهتي بكل تكاليف العقد بلا تردد ولا مخالفة ، وأنت الآن تتقدمين بطلب على غاية من الغرابة ، فأنت تريدين أن أشطر شخصيتي إلى شطرين فأصبح مطلقاً ومطلقاً ، فأضطر إلى بيع نصف بيتي ونصف مفروشاته وأن أفرغ نصف كيسي ، ثم أذهب إلى المجتمع فلا أجد فيه غير نصف مقعد ونصف استقبال ، وكل هذا لأجل النزول عند إرادة أعصابك المختلجة ، ولأنك لا تجدين لذة في عشرتي . والله إنها لأسباب مضحكة مبكية ، ولن تجدي رجلين فيهما مسكة من عقل يوافقانك عليها

إرين — أما أنا فاني أكره التظاهر بغير الحقيقة وأحتقر زواجاً يرسو على المخاتلة والنفاق ، فاني حين أقول لك إن الزواج هو الشعور بالسعادة من توليد السعادة في القرين لا أسمع منك غير كلمات الشرف والعهود المبرمة والاتفاقات المسجلة ، وكل ما هنالك من مضحكات ما أشبهها بالمبكيات

فرجان — لقد أردت أن تعدي نفسك غريبة في بيتي فاتخذت الوقاحة سبيلا للانشقاق عني ، لذلك رأيت أن أعاملك المعاملة التي لا تستحقين سواها . إن بيدي اتفاقاً مسجلاً أقودك للرضوخ له بالرغم منك ، فأنا لا أشعر نحوك إلا بأمر واحد ، وهو حق عليك

إرين — في الحياة حقوق وواجبات يا فرجان وأنا أحترم كل شريعة تؤمن الانسان على ماله ولا أبحث فيها ، ولكن الذي لا أفهمه بل أتمرد عليه هو القانون الذي يجعل الانسان ملكا لانسان مثله ويحكم المخلوق بالمخلوق ما دام فيه نسمة حياة

فرجان — إنك تنكرين الزواج وهو يرسو على مبدأ احترام العقد وصيانته من تلاعب الأهواء

إرين — لقد كان زمان هنا فى هـذه البلاد نفسها يمكن فيه لأحد الزوجين أن يحل الزواج بمجرد اختياره

فرجان — ومن قال لك هذا ؟

إرين — أحد المحامين

فرجان — وهل توصلت بالهوس إلى هذا الحد إلى استفتاء المحامين ؟

إرين — لقد كان ذلك في أوائل القرن التاسع عشر ، حين كان المجتمع يفوق مدنية اليوم عظمة وتنظيما ، فما أطلب إذاً مايزعزع دعائم الكون. إن قرينا أبغض قرينه بالأمس ويبغضه اليوم ولن يحول عن بغضه غداً لهو ذو حق صريح وعلى الشريعة أن تحميه . لقد كان من الواجب أن يحترم حق الانسان على نفسه لأنه يرسو على فطرة كل نظرية ترتد عنها خاسئة متحطمة. أى شىء أصدق من العاطفة وفى العاطفة كل الحياة ؟

فرجان — أحمد الله لأن شريعة هـذا العصر لا تجيز الطلاق حتى ولو طلبه الطرفان بالتراضى

ارين — وما هي حاجة الطرفين إلى الشريعة إذا اتفقا على الطلاق ؟ ان القانون لم يوضع لاقامة عدل قائم بنفسه ، ولكنه ضرورى لانصاف المظلوم وأخذ حقه من ظالمه وماذا يفيد تشريع لا يمنع النخاسة ويحطم الأغلال الجائرة ؟

فرجان — اتجهي إلى أى منفذ فالأبواب كلها موصدة فى وجهك .

ارين — لن أعدم مخرجا أنطلق منه .

فرجان — لا ، لن تجدى . أنا لم أرفع يدى لضربك يوماً ، ولم أقصر فى تقديم ما تحتاجين اليه . لست زانياً، ولم يصدر على حكم بجرم وما من سبب غير هذه الأسباب يمكنك أن تتقدمى به أمام المحاكم ...

ارين — ولكنني أتمكن من جرك جراً إلى طلب الطلاق

فرجان — لن تستطيعى .

ارين — وإذا أنا أوقفتك موقفاً تتحرج أنت فيه؟

فرجان — ولا هذا يجديك نفعاً .

ارين — سوف ترى .

فرجان — وماذا أنت فاعلة يا ترى إذا أنا أوصدت عليك الأبواب كلها ؟

ارين — أترك السجن وأهرب .

فرجان — إذا فررت من مسكنك أرسل الجنود يقبضون عليك ويعيدونك اليه ...

إرين — وإذا قضيت أنا على نفسى وأصبحت امرأة لا يجوز لرجل شريف أن يبقيها عنده

فرجان — سوف أحرسك .. يلذ لى ألا أعيد حريتك إليك . أنا حاكمك حتى الموت وفي هـذا الحكم كل لذتي . القانون فى جانبي ، فأنت فى يدي ولن تفلتى منها

إرين — ويلاه لقد منعت النخاسة فى جميع الأقطار وأبطلت التجارة بالعبيد . لقد نقض العقل كل تعهد أبدى، ويمكن لمن نذر حياته لله أن يتحرر من نذوره ولا يمكن لامرأة أن تتحرر من عبوديتها لزوجها — أين الحرية في العالم ولما تزل فيه قوانين

تمنع الانسان أن يكون مالكا لنفسه، ونفسه عطية الله له .

فرجان — سوف تألفين هذه العبودية . لقد قلت لك إنى أعمل على شفائك ، فسوف نبارح باريس فيتسع لك المجال فى عزلتك لتدبر أمرك وتعديل مبادئك المتطرفة

إرين — أهذه هى كلمتك الأخيرة ؟

فرجان — الكلمة التى لا كلمة بعدها

إرين — (تضم يديها بحركة التوسل) لالن تكون طاغياً ، ارحمنى ولا تدفعنى إلى الهاوية

فرجان — (يدفعها عنه) أرجوك أن تترفعى عن مثل الحركات الصبيانية إذ لافائدة منها . لقد مضى زمن العناد والثورة ، لقد قررت ما وجب اتخاذه من وسائل وما أقرره لا مرد له .

إرين — (ترتمى على قدميه) الرحمة .. الرحمة .. الرحمة : أنقذنى . .

فرجان — إن إرادتى لا تتزعزع ، شددى نفسك واتبعى أوامرى ، ولسوف يأتي يوم تزول فيه سكرتك فتشكرينى لأننى صنتك من الضلال وقدت خطواتك على السبيل السوي .

(يخرج فرجان شامخا بانفه من الباب المؤدى إلى غرفته)

المشهد العاشر

(إرين وحدها ثم يدخل ميشال)

(تنهض إرين على ركبتيها وهي مضعضة ثم تلوح على وجهها بغتة علامات التمرد والعزم فتقف وتتجه نحو باب الحديقة وتفتحه منادية : ميشال)

ميشال — (يهرع إلى إرين) مالك . . . ماذا جرى ؟

ارين — (ترتمى بين ذراعيه) أنت .. أنت .. ها أنا ذى بين يديك

(يقبلها)

فليكس فارس

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

ص	
٥٠	السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠	كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه ، والأذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البندرلى — عابدين)